الفصل الأول

" الكلمة فى شعر عمر"

تمهيد

مفهوم الكلمة ودلالتها وشروط فصاحتها .

قدم أستاذى د. منير سلطان لبلاغة الكلمة مقدمة فى كتابه "بديع التراكيب فى شعر أبى تمام"(١).

وقد اتكأ على محورين أساسين هما:

[١] الكلمة عند اللغويين

[٢] الكلمة عند البلاغيين ومالها من دلالات وجرس(٢) صوتى، وقد توصل إلى نتائج هى:

"أن مقاييس الجمال فى اختيار الكلمة أن تكون معبرة تعبيراً صادقاً عن قائلها تظهر فيه ثقافته واتجاهات فكره وبيئته التى يعيش فيها، ومذهبه الفنى- أى تكون جزءاً من معجم ألفاظه التى تعود أن يستعمله ...، هذا هو دور الكلمة فى الدرس البلاغى".

أولاً : أن تؤدى المعنى المراد خير أداء.

ثانياً : أن تشيع جواً من المتعة بخصائصها الدلالية، ومكانها المختار فى الجملة.

ثالثاً : أن تترجم- بصدق - فَنَّ ونَفْسَ وعَقْلَ صاحبها .

---

(١) "بديع التراكيب فى شعر أبى تمام"- ج١- ص٩

(٢) السابق ص٩٦.

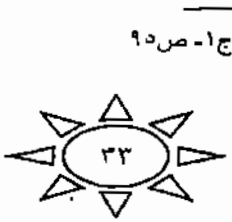

رابعاً : أن تقوم بتبادل الأخذ والعطاء بينها وبين جاراتها من الألفاظ في المعنى والمبنى والجَرْس.

خامساً : ألا يغني غَنَاءها لفظ آخر".(١)

وسأنهج نهج أستاذي في عرضه لبلاغة الكلمة معتمداً على المراجع التي رجع إليها حتى أبرز مفهوم "بلاغة الكلمة". الكلمة: هي مجموعة من الوحدات الصوتية المؤلفة بطريقة معينة لكي ترمز إلى الأشياء الحسية، والأفكار المجردة". (٢)

إذاً هي في نهاية الأمر "مبنى ومعنى"، ولكل منها سماته وخصائصه التي بها نستطيع أن نتعرف على الكلمات. ولعل محاولة وضع تعريف جامع مانع للكلمة، تتراجع أمام الدراسة الدقيقة لهذه الجوانب"(٣)، "ويبدو أن القدماء من علماء العربية لم يصادفوا صعوبة في تحديد معالم الكلمة، فقد قنع أكثرهم بوصفها على أنها "اللفظ المفرد" أو "القول المفرد". ولم يخطر في أذهانهم أن الإفراد في الكلام المتصل لا يمكن تصوره إلا بالسَّكتات أو الوقفات على مجموعات صوتية من هذا الكلام" (٤)، ومهما يكن في اختلاف وجهات النظر بين المحدثين في تحديد الكلمات أو تعريفها.(٥)

---

(١) السابق ص١١٤.

(٢) "الكلمة دراسة لغوية ومعجمية" د. حلمي خليل ص ٣٧ وما بعدها- ط الهيئة العامة للكتاب(١٩٨٠م) فرع الإسكندرية.

(٣) الكلمة ص٣٤.

(٤) "دلالة الألفاظ"- د. إبراهيم أنيس - ص ٤٢ - الطبعة الثالثة (١٩٧٦م) مكتبة الأنجلو المصرية.

(٥) عرف"بلومفيلد" الكلمة بقول:" أصغر صيغة حرة - "دلالة الألفاظ ص ٤٣." أما العالم الإنجليزي farth فقد اعتمد في تحديده للكلمة على التقابل الاستبدالي subsituition counters: أي أن استبدال الأصوات ذات الصفات المميزة في الكلمة بغيرها، أو إضافة هذه الأصوات أو حذفها يؤدي إلى وجود كلمات جديدة - " الكلمة د. حلمي خليل ص١٦. وعرف Trunka الكلمة بأنها: "عبارة عن وحدة يمكن إدراكها عن طريق الفونيمات phonemes، وهي قابلة للإبدال ولها وظيفة دلالية semantic، وعرف Maythesius الكلمة أنها: "أصغر وحدة صوتية متتابعة لا يمكن أن ترتبط بأي وحدات أخرى- الكلمة د. حلمي خليل ص ١٦. "ولم يحاول سيبويه وضع تعريف للكلمة وإنما بدأ كتابه بتقسيم أجزاء الكلام مباشرة، فالكلمة عنده اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل "ويبدو أن سيبويه قد أثر فيمن جاء بعده من النحاة، فيما يتصل بتحديد ماهية الكلمة فالمفرد يقتفي أثره في حديثه عن الكلام دون الكلمة، أما الزمخشري فيعرف الكلمة بقوله: "هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، أما السيوطي فنراه يعرف الكلمة بقوله "كول مفرد مستقل أو منوي معه .."- الكلمة د.حلمي خليل ص ٢٠ .

"فإنهم يشيرون فى كتبهم إلى اختيار دقيق يمكن أن نتبين منه معالم الكلمة أو حدودها وذلك بأن يمكن إفرادها بالنطق أو حذفها من الكلام، أو إقحامها فيه أو الاستعاضة بغيرها، فـ"الشجرة" فى جملة "نَبَتَتْ الشجرة فى حديقتنا" يمكن إفرادها ويمكن إقحامها فى كلام آخر، ويمكن الاستعاضة عنها بكلمة أخرى، كأن يقال "قُطِعَتْ النَّخْلَةُ ليلة أمسِ".(١)

وقد نظر علماء اللغة إلى الكلمة نظرةً تختلف عن نظرة كثير من الناس لأنهم "إنما نظروا إليها من وجهة النظر العلمية المجردة، ومن ثم اختلفت نظرتهم للكلمة عن نظرة علماء فقه اللغة، بل عن نظرة الناس جميعاً، لأنهم وجهوا دراستهم للغة المنطوقة *spokenlanguage* دون اللغة المكتوبة، ولذلك لم يسلّموا بادئ ذى بدء بفكرة الكيان المستقل للكلمة، ورأوا أن للكلمة جوانب متعددة يمكن النظر إليها، فمن الجائز مثلاً النظر إليها على أنها سلسلة من الأصوات، أو على أنها عنصر نحوى، أو وحدة من وحدات المعنى وحينئذ تبرز مشكلة استقلال الكلمة فى صورة مختلفة، وذلك تبعاً للحال الخاصة التى تكون عليها".(٢)

أما علماء البلاغة العربية فقد نظروا إلى الكلمة بما لها من قيمة جمالية وتعبيرية فالكلمة عندهم من حيث هى دالة على معنى، فقد تتميز عن غيرها أحياناً، ومن حيث هى صوت فهى أيضاً ذات قيمة جمالية وتعبيرية، بحيث إذا كانت غير متنافرة الأصوات أحدثت فى الأذن متعة، وساعدت على تذوق المعنى وتوصيله، ولها علاوة على ذلك قدرة تعبيرية خاصة، إذا كان جَرْسُها يتفق مع ما توحى به من دلالة، وكانت أصواتها سهلة المخرج، سَلِسَة، محيطة، لما تدل عليه، ومن ثَمَّ كانت دراسة الكلمة عندهم على اختلاف مناهجهم ونظريتهم تتصل أساساً بجانبين مهمين، هما:

---

(١) "دلالة الألفاظ"- د. إبراهيم أنيس - ص٤٣.
(٢) "الكلمة"- د. حلمى خليل ص١٤.

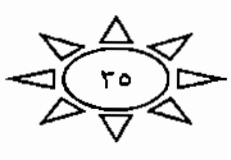

١- أصوات الكلمة، وعلاقة هذه الأصوات بعضها ببعض.

٢- دلالة الكلمة وقيمتها من الناحية الجمالية والتعبيرية في حالة الإفراد والتركيب".[١]

وقد اهتم ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) في كتابه "سر الفصاحة" بالجانب الصوتي والدلالي للكلمة، وفرق في كتابه بين البلاغة والفصاحة- "بأن الفصاحة المقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني، ولا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها "بليغة" وإنْ قيل فيها "فصيحة".[٢]

أما الدلالات فندرسها من خلال دراسة د. إبراهيم أنيس الذي أشار إلى أن الكلمات لها دلالات مختلفة هي: الدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية أو الاجتماعية. فالدلالة الصوتية تُستَمَدُّ من طبيعة بعض الأصوات[٣]. والدلالة الصرفية تُستَمَدُّ عن طريق الصيغ وبنيتها[٤]. والدلالة النحوية من نظام الجملة العربية أو هندستها ترتيباً خاصاً لو اختل أصبح من العسير أن يفهم المراد منه [٥]. أما الدلالة المعجمية أو الاجتماعية فكل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمية أو اجتماعية تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الاجتماعية.[٦]

وقد أشار ابن سنان الخفاجي أن البلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني وأن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ.[٧]

---

(١) "بديع التراكيب في شعر أبي تمام" - د. منير سلطان (٩٦/١) .
(٢) "سر الفصاحة" - ابن سنان الخفاجي ص٤٩ - تحقيق عبد المتعال الصعيدي- مطبعة صبيح (١٩٦٩م) .
(٣) "دلالة الألفاظ" ص٤٦.
(٤) "دلالة الألفاظ" ص٤٧.
(٥) "دلالة الألفاظ" ص٤٨.
(٦) "السابق" ص٤٨.
(٧) "سر الفصاحة"- ابن سنان ص٤٩، ٥٠.

ويعلق د.منير سلطان على رأى ابن سنان بعد إيراد نص ابن سنان قائلاً :

"البلاغة تصلح أن تكون صفة للكلمة وهى مفردة، وصفة لها وهى "مؤَلفة" أو "منظومة"، فبلاغتها وهى مفردة "جمال ذاتى"، وبلاغتها وهى فى سلك الجملة أو العبارة، نابع من حسن استغلال هذا الجمال الذاتى، بحسن اختيار المكان الملائم والصُحْبة الطيبة، والعلاقات الطبيعية بينها وبين جاراتها.(١)

ويشير الخفاجى إلى شروط فصاحة الكلمة وهى :

أولاً: "أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج، وعلة ذلك واضحة، وهى أن الحروف التى هى أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك فى أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت فى المنظر أحسن من الألوان المتقاربة".(٢).

ثانياً: "أن تجد لتأليف اللفظة فى السمع حسناً ومزية على غيرها وإن تساويا فى التأليف من الحروف المتباعدة ..... ومثاله فى الحروف - ع ذ ب - .....".(٣)

ثالثاً: " أن تكون الكلمة كما قال أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٠) هـ غير متوعرة وحشية ..... ".(٤)

رابعاً: "أن تكون الكلمة غير ساقطة، عامية .....".(٥)

خامساً: "أن تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح غير شاذة ، ويدخل فى هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة ، ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد فى الكلمة".(٦)

---

(١) "بديع التراكيب فى شعر أبى تمام" (١/١٠٠).
(٢) "سر الفصاحة" - ابن سنان الخفاجى ص ٥٤.
(٣) السابق ص ٥٥.
(٤) السابق ص ٥٦.
(٥) السابق ص ٦٣.
(٦) سر الفصاحة ص ٦٧.

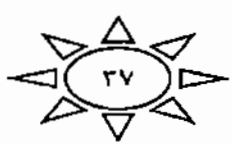

سادساً : "ألا تكون الكلمة قد عُبِّر بها عن أمر آخر يُكْرَه ذكره ، فإذا أوردت وهي غير مقصود بها تلك المعنى، قبحت، وإن كملت فيها الصفات التي بيناها ويضرب مثالاً لذلك ببيت شعر لعروة بن الورد".(١)

سابعاً : "أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف: فإنها متى زادت على الأمثلة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة".(٢)

ثامناً : "أن تكون الكلمة مُصَغَّرة في موضع عُبِّر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك ويمثل لذلك ببيت للشريف الرضي".(٣)

ثانياً : دور اللفظة في الدرس البلاغي :

يرى د.منير سلطان أن للكلمة عند البلاغيين دوراً ذا ركنين أساسيين هما :

١- الوفاء بالمعنى .

٢- الإمتاع بالجمال .

فحين تتبلور الفكرة في ذهن المتكلم، تكون قد اكتسبت الألفاظ المباشرة التي تعبر عنها، وتنقلها من مجرد تصورات شخصية إلى ألفاظ مكتوبة مقروءة، ثم يتولى المتكلم إذا كان أديباً ويرغب في صياغة فكرته صياغةً فنيةً، يتولى اختيار الألفاظ القادرة على إيصال المعنى بصورة دقيقة شاملة جامعة بحيث تستوعب جوانبها، وتقدر بما لديها من خصائص دلالية وفنية أن تعيش طويلاً .

---

(١) السابق ص ٧٥ .
(٢) السابق ص ٧٨.
(٣) السابق ص ٧٩.

والوفاء بالمعنى هو القيمة الوظيفية للكلمة الذى من أجله اختيرت لتقوم بإيصاله إلى المخاطب، وليس هذا الركن مقصوراً على الكلمة بل هو ركن أساس فى بناء الجملة والعبارة. أما الركن الآخر فهو "**الإمتاع بالجمال**" فهو:

شرط مهم يشغل بال البلاغيين كثيراً، وبه يُفَاضِلون ويُفَضِّلُون" [١]، وقد أشار البلاغيون إلى جمال الكلمة ودقة أدائها لمعناها وفى ذلك الإطار يقول العتابى:

"**الألفاظ أجساد والمعانى أرواح**"[٢]، وثمامَةُ بن أَشْرَسَ يسأل جعفر بن يحيى ما البيان؟ فيجيبه:

أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلّى عن مغزاك، وتُخْرِجُه عن الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة، والذى لابد منه أن يكون سليماً من التكلف، بعيداً عن الصنعة بريئاً من التعقيد" [٣]، وفى صحيفة بشر بن المعتمر ينصح الأدباء بقوله :

" .... وإياك والنُّوغُر، فإن النُّوغُر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أراد معنى كريماً، يلتمس له لفظاً كريماً".[٤]

وعن دور الكلمة فى الإمتاع يشير الجاحظ فيقول "ومتى شاكل- أبقاك الله اللفظ معناه، وأعْرَب عن فحواه، وخرج عن سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التكليف كان قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع .... وأن لا تزال القلوب به معمورة، والصدور مأهولة، ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً فى نفسه، مُتَخَيَّراً من جنسه، وكان سليماً من الفضول، وبريئاً من التعقيد، حبُّبَ إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول وهشت إليه الأسماع ...".[٥]

---

(١) "بديع التراكيب فى شعر أبى تمام(١١٢/١).
(٢) "الصناعتين" - أبو هلال العسكرى (١٦٧) تحقيق البجاوى، وأبو الفضل إبراهيم- ط الحلبى .
(٣) "البيان والتبيين" - الجاحظ (١٠٦/١) ،عبد السلام هارون— الخانجى- القاهرة .
(٤) "البيان والتبيين" - الجاحظ (١٣٦/١).
(٥) السابق(٧/٢) وما بعدها.

وقد تحدث قدامة (ت٣٣٧ هـ) عن عيوب اللفظ فقال:

"عيوب اللفظ أن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة، وقد تقدم من استقصى هذا الفن، وهم واضعو صناعة النحو، وأن يَرْكَب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلا فى الفَرَطِ، ولا يتكلم إلا شاذاً".(١)

أولاً: البنية الصرفية للكلمة فى شعر عمر

(أ) اسم الفاعل.

(ب) اسم المفعول.

(ج) صيغ المبالغة.

(د) اسم التفضيل.

أولاً : البنية الصرفية للكلمة فى شعر عمر :-

تنوعت البنية الصرفية للكلمة فى شعر ابن أبى ربيعة بين اسم الفاعل، واسم المفعول ، وصيغ المبالغة، وأفعل التفضيل، وقد أدى هذا الاختلاف فى البنية الصرفية إلى اختلاف فى الدلالة البلاغية للكلمة، فبلاغة اسم الفاعل- إلى جانب بقية التراكيب تختلف بالطبع عن بلاغة اسم المفعول وهكذا. وسوف يحاول الباحث الكشف عن الدلالة البلاغية الناتجة عن البنية الصرفية للكلمة من خلال عرض نماذج لشعر عمر.

أولاً : اسم الفاعل :

ارتكز ابن أبى ربيعة على اسم الفاعل لإظهار مشاعره تجاه محبوبته أو إبراز اهتمام محبوبته به، وانشغالها عليه.

---

(١) "نقد الشعر" - قدامة بن جعفر (١٩٦) تحقيق كمال مصطفى - الخانجى (١٩٦٣م)

بقول عمر:

مِـنْ عَاشِـقٍ كَلِـفِ الفُـؤَادِ مُتَـيَّمٍ يُهْـدِي الـسَّلامَ إلى المَلِيحَـةِ كَلْـثَمِ

٧/٧٦

يتكئ عمر على اسم الفاعل "عاشق" ليبدى مشاعره تجاه من يحب، ولذلك يُصَدِّرُ به بيته. ولاسم الفاعل "عاشق" دلالة الحب الفائض، والعشق الزائد، والهيام الواضح الذى يؤثر فى قلب المحبوبة، ومشاعرها، ولكلمة "عاشق" إيحاؤها العاطفى الذى يدل على تلذذ عمر بحبها، وسعادته به، ورغبته فى توصيل ذلك الشعور لها كى تبادله نفس الشعور، أما "كلف الفؤاد" فتضيف دلالات أخرى من العشق، والولع والهيام. وكذا فإن لاسم المفعول "متيم" دلالاتها فهى توحى بفرض حب "كلثم" عليه، وذوبانه فى حبها رغماً عنه، فهو لا يملك دفعه وهو مرغم عليه، وفى بيت آخر يقرر عمر ندمه على ما فعل مع محبوبته "عاتكة" معتمداً على اسم الفاعل حيث يقول:

فَـإنْ تَقْبَلِـى يـا عَبْـدَ دَعْـوةَ تَائِـبٍ يَثُـبْ ثُـمَّ لا يُوجَـدُ لَـهُ أبـداً ذَنْـبُ

٤/٢٦٧

يعتمد ابن أبى ربيعة على اسم الفاعل "تائب" لإظهار فروض طاعته لمحبوبته وولائه لها، وإخلاصه لحبها لأن كلمة "تائب" توحى بشعوره بالحزن والألم لتقصيره فى هواها، ورغبته العارمة فى إصلاح وشائج الحب، وتعمده الاعتراف بالذنب والاعتذار عنه، ودلالة اسم الفاعل نابعة من المجاز الذى وضح حب ابن أبى ربيعة للمرأة، فشعوره بالحزن معها هو المثير الذى وَلَدَّ استجابة جعلت تقصيره معها ذنباً استحق التوبة عنه.

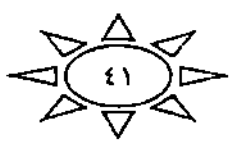

وفي بيت آخر يعتمد عمر على اسم الفاعل لإبراز اهتمام محبوبته به يقول:

وَقَوْلُهَا لِفَتَاةٍ غَيْرِ فَاحِشَةٍ أَرَائِحٌ مُمْسِيًا أَمْ بَاكِرٍ عُمَرُ؟

٨-٦

يُظْهِرُ اسما الفاعل "رائح"، "باكر" اهتمام المحبوبة بعمر، وحركاته، وتنقلاته، وما يقوم به مساءً وصباحاً، ويعكس هذا شوقًا زائدًا، وحبًا متأججًا.(١)

ثانياً: اسم المفعول

اعتمد ابن أبي ربيعة على اسم المفعول ليعبر عن مشاعره تجاه محبوباته وليصف محبوباته وصفاً جسدياً، يقول عمر واصفاً مشاعره نحو هند محبوبته:

فَإِنْ تَقْتُلِينِي فِي غَيْرِ ذَنْبٍ أُقِلْ لَكُمْ مَقَالَةَ مَظْلُومٍ مَشُوقٍ مُتَيَّمِ

هَنِيئًا لَكُمْ قَتْلِي وَصَفْوُ مَوَدَّتِي فَقَدْ سِيطَ مِنْ لَحْمِي هَوَاكِ وَمِنْ دَمِي

١٨/٧٤

يتناسب اسم المفعول في الشطر الثاني "مظلوم - مَشُوق- متيم" مع المجاز في الشطر الأول حيث جعل المجاز هجر "هند" قتلاً لعمر، واغتيالاً لمشاعره وأحاسيسه ويأتي اسم المفعول ليرد على قتل المحبوبة رداً عاطفياً حيث يقف عمر من محبوبته موقف المستسلم لأمرها، القانع باستبدادها، القتيل في حبها، الذي لا يستطيع فعل شئ سوى الرضا بفعلها لذلك يحبب عمر القتل إلى نفسه لو كان ذلك يرضيها؛ لأن هواها ممزوج بلحمه ودمه.

---

(١) من أمثلة اسم الفاعل ٣/٤٨ ، ٣/١٧٢ ، ٩/٢٣٧ ، ٧/٢٨٦ ، ٣/١٧٥ وغيرها.

وبقول فى بيت آخر :

وَذُو الْقَلْبِ الْمُصَابِ وَلَوْ تَقَرَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا

٧/٢٣٤

وظَّف عمر اسمى المفعول "المصاب" و"مشوق" لإبراز مشاعره نحو محبوبته حيث تبرز كلمة "المصاب" وصول حبها إلى عمق قلبه، وتغلغله داخله إلى درجة شقت عليه وأصابته ولذلك استحال شفاؤه من مرضها، وللمجاز فى كلمة "المصاب" أثره الواضح فى إظهار مشاعره نحوها، أما اسم المفعول "مشوق" فهو نتيجة مباشرة لاسم المفعول "مصاب" أثر ظاهر هو حالة من الشوق، واللهفة، والترقب، والأمل، والحزن تنتاب الشاعر دائماً وخاصة عندما يلقى العاشقين المتألّمين الذين يلمسون وتراً حساساً من أوتار قلبه .

وفى أبيات أخرى يعتمد ابن أبى ربيعة على اسم المفعول ليصف محبوباته كقوله فى إحداهن:

وَكَلِفْتُ مِنْهُنَّ الْعَنَاةَ بِفَانَةٍ مَجْدُولَةٍ جُدِلَتْ كَجَدْلِ عِنَانِ

٥/١١٥

توضح كلمة "مجدولة" صفة ظاهرة من صفات المحبوبة فهى ممشوقة الجسم، غير مترهلة، ولا بدينة، ويدل التشبيه على اعتدال الجسد وعدم امتلائه.(١)

(١) من أمثلة اسم المفعول البيت رقم ٣/٥ ، ١٠/٥ ، ١٢/٥ ، ٥/٩ ، ١/٢١٦ ، ٦/٣٢ ..وغيرها .

ثالثاً : صيغ المبالغة:

اعتمد ابن أبى ربيعة على صيغ المبالغة فى التعبير عن مشاعره تجاه محبوباته وإبراز صفات محبوباته، يقول عمر :

وَإذا دَهَبْتُ أَسُومُ قَلْبِى خُطَّةً مِنْ هَجْرِهَا أَلْفَيْتُهُ خَوَّارَا

٢٣/١٥

تعطى صيغة المبالغة "خواراً" دلالات على حب عمر لهذه المرأة منها أن قلبه ضعيف الجانب تجاهها، خائر القوى فى حبها قليل الصبر فى هواها، مفرط المشاعر نحوها ولذلك فهو لا يصبر على هجرها ولاَ يَقْدِرُ على مقاومة ذلك الهجر مطلقاً، فقلبه ممتلئٌ بالمشاعر، فائض بالشوق ناحيتها، وتأتى جملة "ألفيته" لتدل على استمرار عشق قلبه للمحبوبة.

وبقول فى بيت آخر :-

حَلِيلَىَّ حَتَّى لُفَّ حَبْلِى بِحَادِعٍ مُوَقًّى إذا يُرْمَى صَيُودٍ إذَا يَرْمِى

٣/٨٤

تبدى صيغة المبالغة "صيود" صفة متوطنة فى نفس محبوبة عمر وهى قدرتها الفائقة على أسر الرجال، وجذب أنظارهم وإيقاعهم فى شباك حبها، وكأن المحبوبة متخصصة فى ذلك، وتتشابك صيغة المبالغة "صيود" مع بقية التراكيب، فالمجاز يؤدى دوراً مهماً لأنهُ يُحَوِّلُ المحبوبة إلى صائد ماهر، والرجال- الضحية -

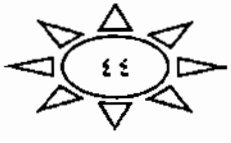

إلى مَصِيْدٍ مسكين وإذا حاول المصيد صيد الصائد ناله فشل ذريع فالصائدُ مَوقًّى ومحصَّن ضد الصيد و في بيت آخر يصف ابن أبي ربيعة محبوبته فيقول :

وَغَضِيضِ الطَّرْفِ مِكْسَالِ الضُّحَى أحْوَرَ المُقْلَةِ كَالرِّيمِ الأغَنْ

٧/١٢٠

يتكئ عمر على صيغة المبالغة ليظهر ترف المحبوبة وعيشها الناعم في قوله "مكسال الضحى" فهي لا تكلف نفسها عناء البكور، فلها من يخدمها ويعولها وفي هذا البيت شاهد على تعقب عمر لخطوات امرئ القيس في بيته المشهور "نؤوم الضحى".(١)

رابعاً: اسم التفضيل:

ارتكز عمر على اسم التفضيل ليبث مشاعره تجاه محبوباته كقوله في "نعم":

يَا رَبِّ إنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ بِأنَّهَا أهْوى عِبَادِكَ كُلِّهِم إنْسَانَا

وَأَلَدُّهُمْ نُعْمٌ إلَيْنَا وَاحِدا وأحَبُّ مَنْ نَأْتِي وَمَنْ حَيَّانَا

٧/١١٤

يورد عمر ثلاثة أسماء تفضيل في بيتيه السابقين هم "أهوى"، (ألذهم) و(أحب) ولكل اسم تفضيل دلالته فالأول يفيد أن "نعم" هي التي اختارها قلبه وحُبِّبَتْ إليه من بين البشر جميعهم، والثاني يدل أنها أكثر الناس جميعاً قبولاً عنده، والثالث يفيد أنها الوحيدة المقربة إلى قلبه من بين مَنْ يزورهم أو يلقون التحية عليه.

والشاعر يعتمد على أسماء التفضيل في إصدار حكم مطلق هو أن نعم هي محبوبة قلبه وحدها ، ويقول في بيتين آخرين :

نَعْبُدْ إلَيْكِ فَأَوْفِينَا بِمَعْهَدِنَا يَا أصْدَقَ النَّاسِ مَوْعُوداً إذا وَعَدا

---

(١) ومن أمثلة صيغ المبالغة في شعر عمر ٥/٤٠ ، ٣٥/١ ، ٤/٢٤٥ ، ٥/٤٤ ، ٩/٨ ، ١٣/٤٣ وغيرها .

٣/١٥٣

يتابع ابن أبي ربيعة إصدار أحكامه العاطفية معتمداً على اسم التفضيل فالمحبوبة هي "أصدق الناس"، وهي "أحسن الناس"، وهي "أجملهم" في عين ابن أبي ربيعة مِنْ مَنْ سكن "الغور" أو سكن "نجداً" من النساء[1] لقد كانت البنية الصرفية معوانا لعمر، يتصرف فيها باقتدار، ولا يستدعيها ويقحمها في شعره بل تتهادى إليه وتنثال على قلمه، ليتغزل غزلاً جريئاً، لم تعهده المرأة الحجازية من قبل، ولكنها أحبت فيه جرأته ورشاقته ووصوله إلى شغاف قلبها بشعره الغزلي .

ثانياً : التعريف والتنكير في شعر عمر

أولا:- التعريف

(أ) التعريف بالعلمية .

(ب) التعريف بالضمائر.

(ج) التعريف بـ "أل" .

ثانياً :- التنكير

أولاً : اسم "عمر" :-

وردت أعلام كثيرة في شعر عمر هي أعلام النساء اللائي تغزل فيهن، وأعلام أصدقائه وأسماء عمر وكنيته "أبي الخطاب"، ولقد اخترت أسماء ابن ابي ربيعة وكنيته لتكون الأنموذج الذي أدرسه دراسة بلاغية وذلك لأن لها دلالات جمالية وبلاغية تستحق الدراسة، ومن الأبيات التي ذكر فيها لفظة "عمر" قوله على لسان الرباب:

---

(١) من أمثلة اسم التفضيل ١/١٩٣، ٢٩/١، ٨/١٣٩ ، ٤/٢٤٩ وغيرها .

فَالَتْ لِبَرَّبْلِهَا : بِعَمْرِكُمَا هَلْ تَطْمَعَانِ بِأَنْ تَرَى عُمَرَا ؟

٤/٣٨

يعكس ذكر لفظة "عمر" فى البيت السابق اشتياق المحبوبة لرؤيته، ورغبتها فى مقابلته، وحبها الشديد له، فهى إن صبرت على فراقه لا تصبر على الحديث عنه، ولذا جعلته مثار نقاش، وموضوع حوار بينها وبين مثيلاتها ليس هذا فحسب بل إن ذكر "عمر" فى الاستفهام الاستبعادى "هل تطمعان بأن نرى عمرا" يجعل من "عمر" شخصية مهمة لها قيمتها ووزنها عند المحبوبة، وفى بيت آخر تذكر الرباب اسم عمر معلنةً عن حبها الشديد له.

يقول عمر على لسانها :

وَأَنَّهَا حَلَفَتْ بِاللّٰهِ جَاهِدَةً وَمَا أَقَلَّ لَهُ الْحُجَّاجُ وَاعْتَمَرُوا

مَا وَافَقَ النَّفْسَ مِن شَيءٍ تُسَرُّ بِهِ وَأَعْجَبَ الْعَيْنَ إلاَّ فوقَه عُمَرُ

١١/٩

لذكر اسم "عمر" فى البيتين السابقين دلالة هى إعلان المحبوبة صراحة عشقها لعمر، وهيامها به، وحبها له يعكس ذلك القسم باللّٰه - الذى حج له الحجاج واعتمروا الذى اعتمدت عليه المحبوبة فى تصريحها أن عمر الشخص الوحيد الذى تُسَرُّ برؤيته وتطمئن إليه، وترتاح له دون البشر جميعهم، أما الدلالة الأخرى لذكر اسم "عمر" فهى الاعتزاز به والتلذذ بذكر اسمه، والأنس به . ويقول عمر على لسان "أسماء" التى لا تكاد تصدق نفسها، لأن عمر أرسل إليها :

ثُمَّ دَعَتْ مِنْ عَجَبٍ أُخْتَهَا هِنْداً فَقَالَتْ : عُمَرُ أَرْسَلاَ

يوحى ذكر "عمر" فى البيت السابق بدلالتين هما:

أن ابن أبى ربيعة شخصية لها قيمتها فى مجتمعه فكأنه ملك أو وزير يوحى بذلك تقديم الفاعل "عمر" على الفعل "أرسلا". والدلالة الثانية أن عمر يحتل منزلة بعينها عند "أسماء" تلك لأنها لم تصدق نفسها عندما أرسل إليها فذهبت فور وصول رسالته إلى أختها تخبرها الخبر.(١)

ثانياً : كنية "أبى الخطاب ":

وردت كنية "أبى الخطاب" فى شعر عمر، وكان لها مزيتها البلاغية داخل نسيج التركيب الأخرى، ومن أمثلة ذلك قوله على لسان إحدى محبوباته :

يَـا أَبَـا الْخَطَّـابِ مَـا جَـشَّمْتَنَا ... حِجَّـةً فِيهَـا عَنَـاءٌ وَسَـهَرْ

بَعْـدَ بِـرِّ اللهِ إلاَّ نَظْـرَةً ... مِـنْكُمُ لَـيْسَ لَهَـا عِنْـدِى خَطَـرْ

٣/٣٥

لنداء المحبوبة لعمر بكنية "أبى الخطاب" دلالة الحب الشديد، والتفخيم لهذا المحب، والاحترام لشخصه فالمحبوبة لم تحضر إلا لتؤدى الحج ثم لتنظر إلى عمر نظرةً لا يعدلها شىء عندها. وهذه "نُعْم" إحدى محبوباته تناديه بنفس الكنية "أبى الخطاب" فتقول:

فَأَنْـتَ أَبَـا الْخَطَّـابِ ، غَيْـرُ مُـدَافَعٍ ... عَلَـىَّ أَمِـيرٌ مَـا مَكَثْـتَ مُـؤَمَّرْ

(١) من أمثلة ذكر لفظة عمر القطعة ٩/ البيت ١٢، ٣٦/ ١ ،٣١١/ ١، ٢٦/ ١٣، ١١٦/ ٣.

٣٤/١

دخل عمر فجأة ليلاً "على نُعْم" فى خبائها، فدهشت لسبب حضوره فأجابها أن الشوق والهوى هما الدافع الذى أحضره، وبعد أن اطمأنت "نُعْم" رحبت به وبادلته بالكنية "أبى الخطـــاب" مقررة أنه غير محتاج لذكر سبب مجيئه وأنها ستنفذ له كل ما يريده، ولخطابة "نعـم" لعمر بكنية "أبى الخطـاب" دلالتها التى تتناسب مع الموقف فالمحبوبة وعمر وحدهما فى حيمتها، ولها أن تناديه بأحب الألقاب إلى قلبه، وبلفظة تعكس خصوصية الحب بينهما لذلك نادته بالكنية السابقة "أبى الخطـــاب". وتعكس الكنية "أبو الخطاب" سعادتها بحضوره ووجوده معهما بعد ما نام الرقيب، وردت لفظة "أبو الخطاب" على لسان محبوبات عمر وكذا وردت نفس اللفظة على لسان عمر نفسه يقول مخاطباً نفسه :

يَـا أبَـا الخَطَّـابِ قَلْبِـى هَـائِمٌ فَـائْتمِر أمْـرَ رَشِـيدٍ مُـؤْتَمَنْ

٢/١٢٧

فى خطاب عمر لنفسه بلفظة "أبى الخطـــاب" انعكاس لمدى اعتزازه بنفسه وافتخاره بها، واحترامه لها، فالرجل يحترم نفسه أمام الناس، ويحترمها بينه وبين نفسه كما يدل استخدام نداء عمر لنفسه بتلك الكنية على حبه الشديد لتلك المرأة التى جعلت قلبه مريضاً، وتفكيره حائراً ولذلك فإنه يخاطب العقل والتفكير فى نفسه ولذلك اختار الكنية "أبا الخطاب".(١)

(١) من الأمثلة على ورود الكنية "ابى الخطاب" فى شعر عمر ٤/٢٤٦ ، ٢٨/٢ ، ١٢/٤٧ ، ١٠/١٠ ، ٤/١٦٤ وغيرها .

ثالثاً: اسم "المُغِيرِى":

وردت لفظة "المغيرى" فى تراكيب عمر، وكان لها تأثيرها البلاغى مع غيرها من تراكيبه ولننظر إلى قول الشاعر على لسان إحدى محبوباته:

وَقَالَـــتْ لِتِرْبَيْهَـــا غَـــدَاةَ لَقِيتُهَـــا ... وَمُقْلَتُهَـــا بِالْمَـــاءِ وَالْكُحْـــلِ تَـــدْمَعُ

بِـذِى الـشَّرَى: هَـلْ مِـنْ مَوْقِـفٍ ثَقِفَانِـه ... لَعَـلَّ الْمُغِـيرِىَّ الْغَـدَاةَ يُـوَدِّعُ

١٠٢/٥٧

تدمع عين المحبوبة غزير الدمع بعد أن قابلت عمر وأخبرها أنه راحل، ولذلك فهى تترقب موعد رحيله كيما تودعه، وتأمر ترببها بالوقوف فى مكان الرحيل حتى تودعه قبل سفره. ولعل المحبوبة استخدمت كلمة "المغيرى" فى حديثها مع صديقتيها من أجل التعمية، وخوف الرقباء، وحتى لا يعرف أحد من المُوَدَّعُ خاصةً إذ كان حديثها مع ترببها أمام مَنْ لا تحب أن يعرف سرها، وللفظة "المغيرى" دلالة أخرى فى قول عمر:

أَيَخْفَـــى لَنَـــا وَلِلْمُغِـــيرِىِّ مَجْلِـــسٌ ... فَـــإِنَّ الْـــهَوَى كَانَـــتْ قَلِـــيلاً لِمَامُهَـــا

٤/٨٥

أراد عمر مقابلة "أسمـــاء" محبوبته فخافت المحبوبة من الرقباء ولكن صديقاتها نصحنها ألا تأبه بهن، لأن مثل هذا اللقاء بينهن وبين "المغيرى" لن يخفى على الرقباء وتوحى كلمة "المغيرى" بذيوع شخصية عمر وانتشارها بين رجال عصره بلقاءاته الغرامية ومغامراتها النسائية ولذلك فإن المحبوبة وصديقاتها اعترفن بصعوبة إخفاء مثل هذه المقابلة مع شخص مثل المغيرى، ومن الأبيات التى وردت فيها لفظة المغيرىّ على لسان إحدى محبوبات عمر قوله:

قَـدْ صَـفَا الْعَـيْشُ وَالْمُغِـيرِىُّ عِنْـدِى ... حَبَّـذَا هُـوَ مِـنْ صَـاحِبٍ وَخَلِيـلِ

تقرر المحبوبة أن العيش أصبح صافياً، والقلب أصبح مرتاحاً وذلك لوجود عمر عندها فهو أفضل صاحب، وخير صديق، أما كلمة "المغيرى" فقد جاءت لتدل على سعادة المحبوبة بوجوده عندها كما تدل على فخرها به واعتزازها؛ لأن المغيرى رجل جذب قلوب النساء بشعره، وحرك مشاعرهن بحسن تعامله معهن، وهو يعرف كيف يسعدهن ويرضيهن لذلك تعلن المحبوبة صراحة عن صفاء عيشها لوجوده معها.(١)

ثانياً: أسماء الأماكن فى شعر عمر:

وردت أسماء كثيرة للأماكن فى شعر عمر منها أسماء تختص بشعيرة مهمة من شعائر الله هى شعيرة الحج مثل البيت العتيق، منىً، مكة، المقام وغيرها، ومنها أسماء لأماكن موجودة فى بيئة عمر مثل الْكَدِيْد، ووَجْرَة والخَيْف وغيرها.

ولقد قسمت أسماء الأماكن عند عمر أقساماً ثلاثة هى:

أولاً: أسماء الأماكن الإسلامية، وهى أماكن لها وقع دينى عند المسلم، وقد ضمنها عمر تراكيبه ونقلها من صبغتها الإسلامية إلى دائرة غزله.

ثانياً: أسماء أمكنة الوقوف على الأطلال سيراً على طريقة القدماء فى نظمهم للشعر.

ثالثاً: أسماء الأماكن التى ذكرها عمر ليحدد مكان محبوبته ويبرز موضع إقامتها.

ولنضرب بعض الأمثلة .... بقول ابن أبى ربيعة:

فَلَيْتَ مِنًى لَمْ تَجْمَعِ الْعَامَ بَيْنَنَا ... وَلَمْ يَكُ لِى حَجٌّ وَلَمْ نَتَكَلَّمِ

---

(١) من أمثلة ورود كلمة المغيرى فى شعر عمر : ٣٠٩/ ١، ١٠/١، ١٦/٥٥، ١٢/٢٤٦، ٨/٢٦٦ وغيرها .

يبدو أن قلب عمر قد طار شوقاً إلى محبوبته، وانشطر حزناً لبعدها، واكتوى ناراً لذلالها، لذلك فإن ابن أبي ربيعة يتحسر على ذلك اللقاء الذي تقابل فيه معها في "منى" عندما كان يؤدي مناسك الحج، يأسى عمر على ذلك المكان الذي جمع بين الحبيبين، بل لعله يندب حظه نادماً على أدائه لفريضة الحج في هذا العام (فليت منى لم تجمع العام بيننا)، وذلك لأنه رآها في مِنًى وتكلم معها في أثناء أدائه للفريضة ، ولكنها في نهاية الأمر لم ترع عهده، وتركته يقاسي آلام حبه وحده (ولم يك لي حج ولم نتكلم)أما قوله (لم تجمع العام بيننا) فيدل على ولعه بحب تلك المرأة وكأن مِنًى التي تضم الحجاج في موسم الحج استحالت إلى مكان رومانسي لا يجوبه إلا العشاق وهكذا يكون عمر قد أحرج كلمة "مِنًى" من إشعاعها الإسلامي الخالص فهي مكان ديني يمارس فيه المسلمون الشعائر الدينية إلى ملتقى يلتقي فيه عاشقان محبان .

ويقول عمر في بيت آخر :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنىً ... وَلِي نَظْرَةٌ لَوْلاَ التَحَرُّجُ عَارِمُ

٣/٧٧

التقى عمر بمحبوبته "هند" في "المُحَصَّبِ من مِنى"، وقد شغل جمال هند عقله، وأتعب فكره، لذلك حَدَّثَ عمر نفسه بالنظر إليها نظرة خارجة عن القصد ولكن سرعان ما تيقظ عمر؛ لأنه رأى الناس يؤدون فريضة الحج ولا يجوز له مثل هذه النظرة، في مثل هذا الموقف الجلل، وهنا تعطى الجملة الاعتراضية "لولا التحرج" معنى داخل التركيب فلولا أن عمر قد تحرج لكان له مع هند شأن آخر.

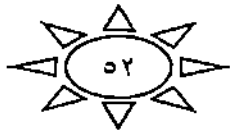

وفى بيت آخر يقول عمر :

هَـلْ عَيْـشُنَا بِمِنـىً يَعُـودُ كَعَهْـدِنَا إِذْ لاَ نُـــرَاعُ وَلاَ يُطَـــاعُ اللُّـــوَّمُ ؟

٨/٨٩

يتمنى عمر من خلال سؤاله أن يعود لقاؤه مع حبيبته بمِنى- كما كان من ذى قبل هادئاً مستساغاً - ويبدو أن عمر كان يلتقى مع محبوبته "بمنى" فى أيام السنة العادية حيث لا حَجيج ولا ضجيج، نفهم ذلك من قوله "إذا لا نُراع ولا يطاع اللوم" فلا رقيب يخوفهما ولا لائم يلومهما، وهنا تكون "مِنىً " المكان الذى يلتقى فيه العاشقان وفى بيت آخر ينقل عمر كلمة "البيت العتيق" من بيئتها الإسلامية إلى بيئة غزليه يقول :

وَأُخرَى لَدَى اَلْبَيْتِ اَلْعَتِيْقِ نَظَرْتُهَا إِلَيْهَا تَمَشَّتْ فى عِظَامِى وَفِى سَمْعِى

٧/٥٦

قابلت "ذات الخال" عمرَ، وقالت له قولةً زادت قلبه ضعفاً فوق ضعفه القديم، وأوردت وجهه تغيراً فى اللون، وبعدها يشاهد عمر تلك المحبوبة عند "البيت العتيق" تؤدى مناسك الحج فينظر إليها نظرة أورثته ضعفاً فى عظامه وألما فى سمعه، وهنا نجد أن عمر تناسى أن الناس يطوفون بالبيت العتيق أداءً لفريضة الحج، وجعل "البيت العتيق" مكاناً لا يتحرج عنده أن ينظرَ لمحبوبته نظرةً هزت فؤاده وأتعبته.

وأخيراً يمكن القول بأن عمر استطاع أن يوظف الأماكن الإسلامية فى أغراضه الغزلية، مفيداً من إشعاعها الدينى لكنه أحياناً كان يعبث بقداسة هذه الأماكن.

ثالثاً أسماء أمكنة الوقوف على الأطلال:

اتكأ ابن أبى ربيعة فى تراكيبه على أسماء الأمكنة للوقوف على الأطلال سيراً على طريقة القدماء فى نظمهم للشعر، وكانت أسماء الأمكنة عند عمر المتكأ الأساس للوقوف على الأطلال، واستنطاق الديار، والأسى على الذكريات، وقف عمر على الأطلال شوقاً لها، وحنيناً إلى أصحابها، شاعراً بالأسى والألم نتيجة لما أحدثته الأيام بها، آمراً رفيقه أن يسأل الأطلال، متمنياً أن ترد عليه هذه الأطلال البالية، وكانت أسماء الأمكنة هى البؤرة التى ينطلق منها حتى يعبر عن معنى من المعانى السابقة.

يقول عمر مخاطباً المنازل البالية:

قُلْ لِلْمَنَازِلِ بِالْكَدِيْدِ تَكَلَّمِي دَرَسَتْ وَعَهْدُ جَدِيدِهَا لَمْ يَقْدُمِ (١)

٧/٩٠

يخاطب عمر المنازل الواقعة فى "الكديد" ويطلب منها أن تتكلم ولكن للأسف هى لا تجيبه فقد ضاعت معالمها ونجد أن "المنازل" قد أثارت مشاعر عمر، وحركت وجدانه، فاهتز طرباً وشوقاً وتحرك حب المحبوبة فى فؤاده فأحس أن المحبوبة لا تزال تسكن تلك الديار وأن رائحة عطرها تفوح من المكان فأراد أن يكلمها لكنه أدرك أنها غير موجودة، فخاطب المنازل تسلية عنها ولكنه أدرك أن المنازل لن ترد عليه فحزن، وفى بيت آخر يطلب عمر من رفيقيه أن يسألا الأطلال فيقول :

يَـــا خَلِيلَـــىَّ سَـــائِلاَ الأَطْـــلاَلاَ بِـــالْبُلَيْيْنِ إِنْ أَجَـــزْنَ سُـــؤَالاَ (٢)

---

(١) الكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة، درست : ذهبت معالمها وعفت رسومها الديوان ص ٢٢٧

(٢) البليان : اسم موضع ، أجزن : أراد أجبن - الديوان ص ٣٦٣ .

١٩٢/٧

يطلب الشاعر من رفيقيه أن يسألا الأطلال عن الحبيب، أين ذهب؟

ولماذا رحل؟ وما الطرق التى توصل إليه؟ ولكن عمر يتشكك أن تردعليه هذه الأطلال، وأن تريح قلبه من ألمه، ونجد أن الشاعر سأل رفيقيه سؤال الأطلال بمكان "البليين" وذلك حنيناً للأحباب وتشوقاً لهم، ووفاءً لحبهم، وقد جعل الشاعر "البليين" اسم مكان سكنته المحبوبة - البؤرة التى أدار نظمه حولها فى وقوفه على الأطلال لأنه حدد مكاناً بعينه، ولو لم يحدد لانتقص نظم الجملة ولم يعد لها معنىً مفيدٌ. ويصف عمر حاله إزاء رؤيته لبيت حبيبته وقد ضاعت معالمه وبلى ذلك حين يقول :

كِـــدْتُ أَقْـــضِي إِذْ رَأَيْـــتُ لَـــهُ مَنْـــزِلاً بِـــالْخَيْفِ قَـــدْ طَـــسِماً[١]

٢٢٩/٢

يقرر الشاعر أنه كاد يلقى حتفه عندما رأى منزل المحبوبة "بالخيف"، وقد دار عليه الزمن وأثرت فيه الأيام فبدا قديماً بالياً يظهر عليه علامات الهجر والرحيل، ويذكر الشاعر المكان الذى اعتاد أن يرى حبيبته فيه "الخيف" فى البيت، ويعبر عن مدى ألمه وحزنه لأنه رأى ذلك المكان قد طمس واختفت معالمه وبهذا يكون الخيف قد أعطى تحديداً وتعريفاً للمكان، من خلال العرض السابق يمكن القول إن عمر استطاع أن يوظف أسماء الأماكن فى تراكيبه الشعرية بحيث تكون الدائرة الأساسية التى تدور حولها كى يقف على الأطلال محيياً أو سائلاً أو باكياً كما أنها كانت الركيزة التى يظهر من خلالها عواطفه.[٢]

---

(١) الخيف: عند منى، أقصى: أموت، طسم : عفت معالمه ودرست ومثله طمس - الديوان ص ٤٠٠

(٢) من أسماء الأماكن التى وقف بها عمر على الأطلال القطعة ١/١٤٥، ١/١٦٥، ١/٢٠٥، ١/٨٦، ١/٢٥٤ وغيرها .

ثالثاً :أسماء الأماكن التى ذكرها عمر ليحدد مكان محبوبته ويبرز موضع إقامتها :

تضمنت تراكيب ابن أبى ربيعة أسماء لأمكنة بعينها، لتحديد المكان الذى تستقر به المحبوبة، سواءً أكان مكاناً للإقامة الدائمة أم مكاناً عابراً تمر به لسبب ما، أو حتى مجرد مكان يجمع بين عمر ومحبوبته، وكان لأسماء الأمكنة أثر فى تراكيب عمر وذلك كقوله :

مَبِيتُنَا جَانِبَ الْبَطْحَاءِ مِنْ شَرَفٍ ... لِحَافُنَا دُونَ وَقْعِ الْقَطْرِ جِلْبَابُ[1]

مُبَطَّنٌ بِكِسَاءِ الْقَزِّ لَيْسَ لَنَا ... إِلاَّ الْوَلِيدَةَ وَالنَّعْلَيْنِ أَصْحَابُ

ثُمَّ الْمُطِيَّةُ بِالْبَطْحَاءِ يَضْرِبُهَا ... وَاهِي الْعُرَى مِنْ نَجَاءِ الدَّلْوِ سَكَّابُ

٣-٧/٢٣٩

يحدد عمر مكان لقائه مع محبوبته، إنه "جانب البطحاء"، حيث تقابل الشاعر معها ليلاً فى ذلك المكان، وقد قضى الليل كله معها يجمعهما جلباب واحد يقيهما من قطرات الماء المتساقطة أواخر الليل، وفى "جانب البطحاء" أحس عمر بسعادة غامرة بمبيته مع تلك المرأة ينعمان بالسعادة والسرور لا يعكر صفوهما رقيب ولا ناظر فالمكان صور الحدث الواقع بين عمر ومحبوبته وأبرز أحاسيس عمر فى ليلته هذه وفى مثال آخر يشكو ابن ابى ربيعة من حرارة الحب التى صدعت كبده حباً لتلك المرأة التى نزلت بمكة يقول :

يَا صَاحِبَيَّ تَصَدَّعَتْ كَبِدِي ... أَشْكُو الْعَدَاةَ إِلَيْكُمَا وَجْدِي

مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ كَلِفْتُ بِهَا ... حَلَّتْ بِمَكَّةَ فِى بَنِى سَعْدِ

---

(١) مبيتنا : أى المكان الذى نبيت فيه ، والشرف : المكان العالى ، ولحافنا : أراد به غطاءهم – الديوان ص ٤٠٧.

٢/١٥٧

يكاد عمر أن يتشقق مما لاقاه من حب تلك المرأة التى حزَّ وِدادها فى كبده لما رآها ماكثة "بمكة" فى بنى سعد ولمكة فى هذا البيت أهمية خاصة عند عمر لأنها هى المكان الذى رأى فيه محبوبته لأول مرة، وأحبها وشغل بها، ومن الأمثلة على استخدام عمر لأسماء الأماكن محدداً لقاءً بينه وبين المحبوبة قوله:

وَمَوْعِدُكَ الْبَطْحَاءُ مِنْ بَطْنِ يَأْجَجٍ أَوْ الشِّعْبُ بِالْمَرْوخِ مِنْ بَطْنِ مُغْرِبِ (١)

٥/٢٥٨

يكتسب المكان فى البيت السابق "بطن يأجج" أو "الشعب بالمروخ من بطن مغرب" أهمية بخصوصها فهو الملتقى الذى سيجمع عاشقين محبين، وتأتى أهمية المكان متكئةً على أهمية اللقاء لأن هنداً محبوبته تنتظر هذا اللقاء منذ فترة بعيدة.(٢)

ثالثاً: الضمائر فى شعر عمر:

تمهيد

وردت ضمائر متنوعة فى شعر عمر بن أبى ربيعة، ولما كان الباحث معنياً بدراسة التعريف، والتنكير فى شعر عمر، فقد كان لزاماً عليه أن يشير إلى الضمائر الواردة فى شعره وهذه الضمائر هى:

---

(١) البطحاء : المسيل فيه دقاق الحصى، يأجج : مكان على ثمانية أميال من مكة، المروخ : موضع فى بلاد مزينة الديوان ص ٤٢٧ .

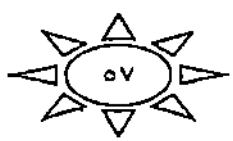

ضمير المتكلم "أنا" - المعبر عن عمر -، وضمير الغائب "هـي" المعبر عن محبوبته وضمير المخاطب- الذى يخاطب الشاعر به محبوبته-، وضمير الجمع "ناء الفاعلين" المعبر عن عمر ومحبوبته، وضميرا الجمع "واو الجماعة"، والضمير "هم" لجمع الغائبين وغيرها وسأدرس ضمير المتكلم "أنا" وضمير الغائب "هـي"، وضمير المخاطب وذلك لكثرة ورودهم العددى فى شعر عمر. أما بقية الضمائر فلم ترد فى أشعار كثيرة ولم تمثل ظاهرة تستحق الدراسة، ومن خلال دراستى لهذه الضمائر سوف أستكشف أى ضمير كان له الغلبة على فن عمر، ولا سيما أن عمر معروف بفنه القصصى، وسأشير إلى تأثير هذه الضمائر فى التراكيب من الناحية البلاغية.

أولاً : ضمير المتكلم: يشيع فى شعر عمر ضمير المتكلم "أنا" المعبر عن ذات الشاعر وشخصيته، وحبه، وآلامه، ويحكى عمر معتمداً على ضمير المتكلم قصصاً غرامية مع نسائه القابعات فى صفحات ديوانه، وأحب الإشارة إلى أن الضمير "أنا" لم يرد بهذه الصيغة "أنا" إلا مرتين فقط، ولكنه ورد كثيراً بصيغة الإضمار.

الضمير المستتر الذى تقديره أنا - **وضمير المتكلم المضمر المعبر عن عمر يكاد يكون الضمير السائد من حيث الورود العددى فى شعره إذا ما قورن بغيره من الضمائر الأخرى، وفى ذلك ما فيه من دلالة على الأنوية والنرجسية التى تجعل كل النساء يدرن حوله، ويطفن بجماله وذلك حسب تصور عمر، وتخيله هذه نقطة، وأما النقطة الأخرى فهى أن عمر يتكئ على ضمير المتكلم المضمر للتعبير عما يحدث فى قصصه الغرامية ذلك لأن عمر-** غالباً ما يكون الذات المؤثرة والفاعلة والمحركة لأحداث القصص، يقول عمر فى قصيدته التى يتغزل فيها بـ "أم البنين" :

وَإِذْ أَنَـــا غِـــرٌّ أُجَـــارِى دَداً أَحُـــولَـــذَّةٍ كَـــصَرِيعِ الـــسَّكَرْ(١)

(١) الدد: اللهو واللعب ، وصريع السكر الذى شرب الخمر فصرعته - الديوان ص ١٧٦ .

مِـنَ الْمُـسْبِغِينَ رِقَـاقَ الْبُـرُو بِ أَكْـسُو النِّعَـالَ فُـضُولَ الأُزُرْ[1]

١٧/٥٣

يعتمد عمر فى البيتين السابقين على ضمير المتكلم "أنـا" ليبدى إعجابه بنفسه وليظهر نرجسيته فهو يتباهى برجولته، وفحولته، ومغامراته أخولذة صريع السَّكرْ وهو معجب بوسامته، وأناقته، ومظهره، وترفه، وثرائه فهو من الذين يلبسون الملابس الرقيقة الناعمة، الفاخرة، وهو من المطيلين الثياب حتى تصل إلى النعال، ويبرز الضمير "أنا" ليدل على اعتزاز عمر بنفسه وببلده مكة فى قوله:

وَأَنَـا امْـرُؤٌ بِقَـرَارِ مَكَّـةَ مَـسْكَنِى وَلَهَـا هَـوَايَ فَقَـدْ سَـبَتْ قَلْبِـى

٥/٢٥٥

يعتز ابن أبى ربيعة بنفسه اعتزازاً لا مثيل له، ويبدو ذلك من خلال الضمير "أنـا" الذى صدر به بيته وفى هذا الضمير دليل على تضخم الذات، وطهور الأنا العليا العمرية ولماذا لا يعتز بنفسه؟ فهو شاعر تتهافت النساء على شعره، وهو غنى موفور الثراء وينتمى إلى أسرة كريمة الأصل، ويعتز عمر ببلده "مكة" التى يسكن بها والذى أصبح أسير هواها ولمكة مكانة عظمى فى نفسه، فهى البلدة التى نشأ وترعرع بها، ويؤدى ضمير المتكلم المضمر المؤول بـ "أنا" دوراً مهماً فى شعر عمر ممتلاً يظهر هذا الضمير تحكم عمر فى الأمر كله فى إحدى قصصه مع محبوبته يقول عمر :

فَقُلْـتُ دَاعٍ دَعَـا قَلْبِـى فَأَرَّقَـهُ وَلاَ يُثَـابِعُنِى فِـيكم فَيَنْزَجِـرُ

فَبِـتُّ أَسْـقَى عَتِيـقَ الخَمـرِ صَالَطَـهُ شَـهْدٌ مُـشَارٌ مِـسْكٌ خَـالِصٌ دَفِـرُ[2]

---

(١) المسبغين : المطيلين الديوان ١٧٦ .

(٢) عتيق الخمر: أراد به رضا بها وماء فمها ، شبه بالخمر المعتق ، والشهد : العسل ، ومشار : أخذ من كوارة النحل – الديوان ص ١١٥ ، دفر : أى ظهرت رائحته واشتدت – شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة – تحقيق على مهنا ص ١٣٦.

وَعَنْبَـرَ ٱلْهِنْـدِ وَٱلْكَـافُورِ خَالَطَهُ ... قَرَنْفُـلٌ فَـوْقَ رَقْـرَاقٍ لَـهُ أُشُـرُ[1]

فَقُمْـتُ أَمْـشِي وَقَامَـتْ وَهِـيَ فَـاتِرَةٌ ... كَـشَارِبِ ٱلْخَمْـرِ بَطَّـى مَـشْيَهُ السُّكَرُ

٦/١٧-١٩،٢٢

يتحكم ضمير المتكلم المقدر بـ "أنـا" فى زمام الأمر حيث يبدو ذلك واضحاً فى الأفعال "فقلت – فبتُ – أسقى – فبت ألثمها – فقمت – أمشى" فكل هذه الأفعال تثبت تحكم عمر فى الموقف، فهو الذى فكر فى الذهاب إليها، وأقنعها بذلك وكذا فكر فى المبيت معها، ووافقت المحبوبة على ذلك، فبات يحظى بما أراد منها فالمحبوبة هنا كالقطاة المصيدة، وعمر كصائد يفعل فى صيده ما يراه ولكن عن رِضًى من القطاة وفى بعض المواقف يشكو عمر لمحبوبته ما جرى له من جرَّاء حبها، عَلَّها تعطف عليه وترحم حاله معتمداً على الضمير المؤول بـ "أنا":

مَـا كُنْـتُ أَشْـعُرُ إِلاَّ مُـذْ عَـرَفْتُكُمُ ... أَنَّ ٱلْمَـضَاجِعَ تُمْـسِي تُنْبِـتُ الإِبَـرَا

لَقَـدْ شَـقِيتُ وَكَـانَ الحِينُ لِي سَبَبَاً ... أَن عُلِّقَ ٱلْقَلْبُ قَلْبَاً يُشْبِهُ ٱلْحَجَرا

قَـدْ لُمْـتُ قَلْبِـي وَأَعْيَـانِي بِوَاحِـدَةٍ ... فَقَـالَ لِي: لاَ تَلُمْنِـي وَادْفَـعِ القَـدَرَا

٣-١/٣٤

يعبر ضمير المتكلم فى الأبيات السابقة عن شعور عمر تجاه محبوبته وهو شعور المتذلل لها، المتلذذ بحبها المستسلم بما تفعله به، القانع بكل ما يأتى من جانبها، يظهر ذلك فى سهره وأرقه من جراء حبها، وتحول المضاجع إلى إبر تؤلمه وتؤرقه، فهو رجل لا حظَّ له لأن القدر ساقه إلى حب امرأة قلبها صلد كالحجارة، وهو لا يقدر على قلبه الذى لامه كثيراً

---

(١) رقراق : أى ثغر رقراق ، الأشر: بياض الأسنان وتحزيزها – شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة -على مهنا ص ١٣٦.

على حبها ولكن القلب رفض لومه ووجه اللوم كل اللوم على القدر؛ لأنه هو المسئول الوحيد عن حبه لها.(١)

ثانياً : ضمير الغائب: "هي": يُعَدُّ ضمير الغائب "هي" من الضمائر التي ينبغي الإشارة إليها؛ لأنه يعبر عن الطرف الثاني في شعر عمر وهو محبوبته. وتأتي أهمية ضمير الغائب "هي" من كونه معبراً عن المرأة في شعر عمر. فهو يظهر ما تشعر به تلك المرأة من أحاسيس وعواطف، ويظهر صورة الرجل من وجهة نظر المرأة سواءً في حالات الحب والوداد أو في الليالي التي يقضيها الرجل معها. كما يوضح رغبة المرأة في لقاء عمر أو في الحديث عنه مع صديقاتها. ويمثل ضمير الغائب "هي" الضمير الثاني في شعر عمر؛ وذلك لأن ديوان ابن أبي ربيعة قائم على شخصيتين اثنتين هما عمر ومحبوباته، وعمر غالباً ما يعبر عن محبوبته بالضمير هي أو الضمير المضمر المؤول بـ "هي". ولنعطي بعض الأمثلة يقول عمر في إحدى محبوباته :-

إِذْ هِيَ حَوْرَاءُ رُعْبُوبَةٌ ... ثَقَالٌ مَتْنَى مَا تُقُمْ تَنْبَتِرْ (٢)

١٣/٥٣

يبرز ضمير الغائب "هي" في البيت السابق حضوراً وتألقاً وإشراقاً لمحبوبة عمر وإبرازاً لملامحها الجميلة فالعينان فيهما حور، والجسد ممتلئ. والردفان مكتنزان والمحبوبة امرأة ناعمة رقيقة، والضمير"هي" يعكس مشاعر ابن أبي ربيعة بجمالها وسعادته بملامحها، وفي بيت آخر يظهر الضمير "هي" إحساس عمر تجاه من يحب يقول عمر:

---

(١) من أمثلة ضمير المتكلم المضمر المؤول (بأنا) في شعر عمر ٢/١٥ ، ١٤/٢٢ ، ٥/١٣٣ ، ١٢/١٠٧ ، ١٠/١٨٧ ، ٥/١٥٣ وغيرها من الأبيات .

(٢) حوراء: وصف من الحور ، رعبوبة: ناعمة ، ثقال: عظيمة الردفين ، وتنبتر: تنقطع – الديوان ص ١٧٦ .

فَهْيَ شِفَائِي إِذَا مَا كُنْتُ ذَا سَقَمٍ وَهْيَ دَوَائِي إِذَا مَا الدَّاءُ يُضْنِينِي

٦/١٢٩

يتكئ ابن أبي ربيعة على الضمير "هي" ليظهر مدى حبه المتأجج نحو "سليمى" ويبدو ذلك في تكراره للضمير "هي" مرتين إحداهما في الشطر الأول والثاني في الشطر الثاني، ودلالة الضمير في الشطر الأول هي دلالة الحب المتغلغل في القلب الساري في الدم، فالمحبوبة أضحت الشفاء الذي يتداوى به من الأمراض، إذا ما اعترته ودبت في جسده، أما الضمير "هي" في الشطر الثاني فيجيء لتوكيد الدلالة الأولى فعمر مصمم على أن تلك المحبوبة هي وحدها القادرة على مداواته من بين جميع البشر وفي هذا التأكيد دليل على حبه الشديد لها، ويؤدي ضمير الغائب "هي" بصيغة المضمر دوراً مهماً في إظهار عواطف المرأة. وردود أفعالها تجاه عمر عندما يزورها زيارات مفاجئة بعد أن نام الأهل، وغاب الرقيب.

يقول عمر:

فَتَجَهَّمَتْ لَمَّا رَأَتْنِي دَاخِلاً بِتَلَهُّفٍ مِنْ قَوْلِهَا وَتَهَدُّدِ (١)

ثُمَّ ارْعَوَتْ شَيْئاً وَخَفَّضَ جَأْشَهَا بَعْدَ الطُّمُوحِ تَهَجُّدِي وَتَوَدُّدِي (٢)

فِي ذَاكَ مَا قُلْتُ أَنِّي مَاكِثٌ عَشْراً فَقَالَتْ: مَا بَدَالَكَ فَاقْعُدِ

حَتَّى إِذَا مَا الْعَشْرُ جَنَّ ظَلاَمُهَا قَالَتْ: أَلاَ حَانَ الْفَرُّقُ فَاعْهَدِ (٣)

وَاذْكُرْ لَنَا مَا شِئْتَ مِمَّا تَشْتَهِي وَاللهِ لاَ نَعْصِيكَ أَحْزَى الْمُسْنَدِ (٤)

---

(١) تجهمت : استقبلني بوجه كريه عابس – الديوان ص ٣٢٧ .

(٢) ارعوت شيئاً : كفت ورجعت رجوعاً قليلاً عما كانت عليه ، وخفض جأشها : هونه ، والجأش : اضطراب القلب عند الفزع – الديوان ص ٣٢٧.

(٣) جن ظلامها : ستر كل شيء ، حان الفرق : قرب واعهد : ودع .

(٤) المسند : الدهر – الديوان ص ٣٢٧.

١٢-٨/١٦٠

يظهر ضمير الغائب المضمر "هـي" شعور المحبوبة لما رأت عمر يدخل عليها في وقت متأخر من الليل، فإذا بها تعبس في وجهه من وقع المفاجأة، ولكن سرعان ما تهدأ وتقابله مقابلة حسنة، ثم يخبرها بأنه قادم معها ليالٍ عشراً فتجيز له ذلك . وبعد انتهاء المدة تطلب منه تكرار ما حدث، وتعاهده على الطاعة في كل ما يريد مدى الدهر ويعكس ضمير الغائب الذي تكرر مرات خمساً مشاعر المرأة تجاه عمر يتضح ذلك من خلال الأفعال "تجهمت- ارعوت- فقالت- قالت- رأتني". وفي بعض الأحيان يعبر الضمير "هي" عن أحاديث المرأة عن عمر، وانشغالها به، وذلك مثل قوله عن حديث بين المحبوبة وامرأتين معها:

قَالَتْ لِتِرْبَيْهَا بِعَمْرِكُمَا هَلْ تَطْمَعَانِ بِأَنْ نَرَى عُمَرَا؟

إِنِّي كَأَنَّ النَّفْسَ مُوجِسَةٌ وَلِذَاكَ أَطْمَعُ أَنَّهُ حَضَرَا

٤،٥/٣٨

تود المحبوبة أن تجعل عمر موضع نقاش وحديث مع صديقتين لها فتقول:

أشعر في نفسي بخيفة وقلق، لذا فأنا أطمع في رؤيته الآن، ومن ثمَّ يكون لضمير الغائب "هي" دور في التعبير عن مشاعر المرأة تجاه عمر، وردود فعلها تجاه زياراته ليلاً كما يظهر الضمير رغبة المرأة في الحديث عن عمر ومعرفة أخباره.[١]

ثالثاً: ضمير المخاطب للمحبوبة:

يعد ضمير المخاطب (التاء) الخاص بمحبوبة عمر في ديوانه من الضمائر المهمة؛ وذلك لسببين :

---

(١) من أمثلة الضمير هي في شعر عمر ٢/٥٧ ، ٣/١٣٠ ، ٧/١٣٣ ، ٤/١٧٠ ، ٩/ ١٧٤ . ومن أمثلة الضمير المؤول بـ "هي" في شعره قوله في القطعة ١١/٩ ، ٢٣/١١١ ، ٢٩/١ ، ٣/٤٢ ، ٥/ ٣٣٠ .

أولهما : أنه يمثل الضمير الثالث فى الديوان من حيث الكم - بعد ضمير المتكلم وضمير الغائب.

وثانيهما : أن طبيعة شعر عمر القصصية تقتضى ورود ذلك الضمير بكثرة؛ ذلك لأن عمر- غالباً- ما يقص قصصاً غرامية يكون هو- فى العادة بطلها، وهذا يقتضى أن يحكى عما يفعل مع المحبوبة وكذا فإنه فى كثير من الأحيان يخاطبها كى يبثها حبه، ويشتكى لها ألمه، أو يطلب منها أن تصله، وقد خاطب عمر محبوبته بضمير المخاطب بصيغتين هما: صيغة المفرد، وصيغة الجمع، أما صيغة المفرد فهى الصيغة المعتادة التى يخاطب بها المحب محبوبته، وأما صيغة الجمع فتأتى فى شعره احتراماً وحباً وتقديراً لمحبوبته، يقول عمر مخاطباً "هنداً" بصيغة المفرد:

أَلاَ يَا هِنْدُ قَدْ زُوَّدْتِ قَلْبِى ... جَوَى حُزْنٍ تَضَمَّنَهُ الضَّمِيرُ

إذَا مَا غِبْتِ كَادَ إِلَيْكِ قَلْبِى ... فَدَتْكِ النَّفْسُ مِنْ شَوْقٍ يَطِيرُ

٢،٧/٤٠

يخاطب عمر هنداً كى يخبرها بأن قلبه أضحى متعباً من حبها، ويقرر أن غيابها عنه يكاد يخلع قلبه من بين جنبيه، ويجعله يطير مسافراً إليها أينما حَلَّت. ونجد أن ضمائر المحبوبة المخاطبة قد وردت فى البيتين فى قوله (قد زودت)، و(إذا ما غبت) وقد عبر عمر عما يشعر به من أحاسيس من خلال هذه الضمائر، وقد وقعت هذه الضمائر فى موقع الفاعلية من خلال الضمير المخاطب (أنت) وهذا يدل على تحكم هند فى الأمور وأن الشاعر لا يملك من أمره شيئاً، وفى كثير من الأبيات كان خطاب عمر محبوبته بصيغة الجمع إظهاراً للحب والوداد وإمعاناً فى التقدير والاحترام وذلك كقول عمر مخاطباً إحدى محبوباته:

وَمَـــا مَلِلْـــتُ وَلَكِـــنْ زَادَ حُـــبُّكُم وَمَـــا ذَكَرْتُـــكِ إلاَّ ظَلْـــتُ كالـــسَّدِرِ

كَـمْ قَـدْ ذَكَرْتُـكِ لَـو أُجـزَى بِـذِكرِكُم يَـا أَشْـبَهَ النَّـاسِ كُـلُّ النَّـاسِ بـالقَمَرِ

٧،٥/١٢

يعبر عمر عن حبه لمحبوبته فهو لم يمل حبها، بل إن الحب قد زاد فأتعب فؤاده لذلك فهو كالحائر الذى ضل الطريق، لا يدرى ماذا يفعل، ولا إلى أية وجهة يتجه وفى البيت الثانى يشير عمر إلى أنه دائما ما يذكرها ولو يجازيه الله بذكرها لأعطاه الثواب العظيم، وذلك لأنها امرأة جميلة فهى أشبه الناس كلهم بالقمر، وفى البيتين يخاطب عمر محبوبته بصيغة الجمع (زاد حبكم)،(أجزى بذكركم)،حباً وتقديراً واحتراماً وإعزازا، والتشبيه فى قوله (إلا ظلت كالسدر) يدل على تعلق الشاعر بمحبوبته وعدم استغنائه عنها ،أما الكناية فى قوله (كم قد ذكرتك) فتدل على حبه الشديد لها ، والتشبيه فى قوله(يا أشبه الناس كل الناس بالقمر) يدل على جمالها الرائع الذى يخطف العقول والأبصار.(١)

تنقسم "أل" المُعَرِّفةُ - كما هو معروف- قسمين هما "أل" العهدية، و"أل" الجَنسية، وقد وردت كلٌ من العهدية والجنسية فى شعر ابن أبى ربيعة:

أ- "أل" العهدية :

اعتمد ابن أبى ربيعة على "أل" العهدية فى إبراز جمال محبوبته كقوله:

إنَّ الكَوَاكِـــبَ لاَ يُـــشْبِهْنَ صُـــورَتَهَا وَهُـــنَّ أَسْـــوَأُ مِنهَـــا بَعْـــدُ أَخْبَـــارَا (٢)

---

(١) من أمثلة ضمير المخاطب للمحبوبة بصيغة المفرد ١٤٨/٥٠ ، ١٥٠/١٢ ، ١٥١/٢ ، ١٧٨/٧ ، ١٨١/٩ . ومن أمثلة ضمير المخاطب بصيغة الجمع ١٦٧/٧ ، ١٧٣/٦ ، ٩٥/١٢ ، ١٠٦/٥ ، ١٢١/٣ .

(٢) يريد أنها أجمل من الكواكب وأحسن مخبرا- الديوان ص ١٢٢.

٢١/١٠

تؤدى "أل" العهدية دوراً مهماً فى إظهار جمال محبوبة عمر، ذلك أن الشاعر يجعل من الكواكب المضيئة، اللامعة، البراقة، المتلألئة، التى تعارف الناس على جمالها واتفقوا عليه، جمالاً يتهاوى ويتساقط، ويتصاغر أمام جمال محبوبته، فمحبوبته أجمل من الكواكب جميعها، بل إن جمال الكواكب لا يقاس، ولا يقارن بجمالها، فجمالها فوق مستوى الكواكب، وهى أضوأ منها، وأحسن منها صورة وجمالاً، وفى بيت آخر يرتكز عمر على "أل" العهدية ليظهر جمال محبوبته فيقول :

لِمَنِ الدِّيَارُ رسُومُهَا قَفْرُ ... لَعِبَتْ بهَا الأَرْوَاحُ والقَطْرُ

لأسِيلَةِ الخَدَّيْنِ وَاضِحَةٍ ... يَغْشَى بِسُنَّةِ وَجْهِهَا البَدْرُ

٣-١/٢٤

تظهر "أل" العهدية فى كلمة "البدر" جمال محبوبة عمر، فالبدر المعروف بجماله المعهود بنوره اللامع المضيء، وباستدارة وجهه الجميل، ولمعان ضوئه البراق، يخفت نوره ويتلاشى ضياؤه، إذا ما ظهرت عليه محبوبة عمر بنورها القوى، وتلألئها الأخاذ، وجمالها الرائع الذى يفوق الحد.

وفى بيت آخر يقول عمر مظهراً جمال محبوبته:

لَوْ يُبْصِرُ الثَّقِفُ البَصِيرُ جَبِينَهَا ... وَصَفَاءَ خَدَّيْهَا العَتِيقَ لَحَارَا

١١/١٥

يتكئ عمر على "أل" العهدية لإبراز جمال محبوبته فى كلمتى "الثقف" و"البصير" فالشاعر يرى أن "الثَّقِف"، "البصير" الذى تعاهد الناس على فطانته ورجاحة عقله، ومعرفته ببواطن الأمور، لو طلت عليه محبوبة عمر بجمالها لفتنته وتسببت

فى اختلال توازنه، وانفلات الأمور من بين يديه، وهذا يعكس بالطبع جمال محبوبته، وفى بيت آخر تصف المحبوبة "عمرَ" معتمدة على "أل" العهدية فتقول:

بِآيَــةِ مَــا قَالَــتْ غَــدَاةَ لَقِيتُهَــا ... بِمَــدْفَعِ أَكْنَــانٍ : أَهــذَا الْمُــشَهَّرُ[1]

٩/١

تدل "أل" العهدية فى كلمة "المشهر" على أن عمر مشهور فى عالم النساء معروف بينهن، وهذا ديدنه، وطبعه، وصفته المتأصلة، كما تدل "أل" العهدية على أن النساء اعتدن منه على ذلك، وأصبح هذا الأمر مقبول منه عندهن.[2]

ب: "أل" الجنسية:

اعتمد عمر على "أل" الجنسية ليعبر عن مشاعره تجاه محبوباته ومشاعر محبوباته نحوه ، يقول عمر على لسان إحدى محبوباته :-

وَقُــولاَ لَــهُ : وَاللّهِ مَــا الْمَــاءُ لِلــصَّدِى ... بِأَشْــهَى إِلَيْنَــا مِــنْ لِقَائِــكَ فَاعْلَمَــا[3]

١٣/٨٠

تظهر"أل" الجنسية فى كلمة "الصدى" مدى حب المحبوبة لعمر، وتعلقها به ووفائها له، ورغبتها فى إرجاع علائق الحب والود بينهما، وذلك لأنها تقسم بالله أن شوقها لمقابلته أكثر من شوق أى عطشان لنقطة ماء يشربها وفى ذلك دلالة على الحب الشديد، والشوق الزائد.

ويقول عمر فى بيت آخر واصفاً جمال محبوبته ونساء كن معها.

---

(١) الآية: العلامة، ومدفع أكنان: اسم موضع ذكره ياقوت ، واستشهد بهذا البيت ولم يحدده . شرح- ديوان عمر بن ابى ربيعة تحقيق على مهنا ص ١٢٠.

(٢) من أمثلة "أل" العهدية فى شعر عمر كلمة القمر ٤/٩، القمر ٢/٨ ، الكاشح ٧/٥٧٤، كلمة الحباب ٢٧/١ ، كلمة الشمس ٤/٧٩، والشمس ٢/٨٥ وغيرها.

(٣) الصدى – بفتح الصاد وكسر الدال – العطشان ، الديوان ص ٢/٣ .

قَـدْ فُـزْنَ بالحُـسْنِ والْجَمَـالِ مَعـاً وَفُـزْنَ رسْـلاً بالـدَلِّ والْحَفـرِ

٦/٢٨

يعتمد عمر في وصف محبوبته، ومن معها من النساء على "أل" الجنسية في الكلمات "الحسن"، "الجمال"، "الدل"، و"الخفر" فمحبوبته ومن معها قد حظين بشمول الحسن، والجمال بذاته، والدل بإطلاقه، والحياء بجنسه، وهذا يعكس مدى جمالهن، والأنس بهن.

ويقول معبراً عن سبب زيارته لـ "نعم" ليلاً:

فَقُلْتُ لها بَلْ قَادَنِي الشَّوقُ وَالهوَى إِلَيْكِ وَمَا نَفْسٌ مِنَ النَّاسِ تَشْعُرُ

٣٢/١

يرتكز عمر في توضيح سبب مجيئه ليلاً إلى خيمة "نعم" "أل" الجنسية في كلمتي "الشوق"، و"الهوى" فالذي أتى به ليس رغبة أو ما يماثلها، وإنما ما أتى به هو الشوق الزائد، والهوى المسيطر على عقله وفكره قبل إحساسه وقلبه فقلبه ممتلئ بالشوق، فائض بالهوى، فما أتى به هو جنس الشوق، وجنسُ الهوى وليس شيئاً آخر.

وَتَمَكَّنْتِ في النَّفْسِ حَيْثُ تَمَكَّنَتْ نَفْسُ الحَبِيْبِ مِنَ المُحِبِّ المُغْرَمِ

٥/٧٦

تعكس "أل" الجنسية [١] الموجودة في ثلاث كلمات هي:

"الحبيب – الحب- المغرم" حب عمر الزائد إلى محبوبته؛ لأنه يجعل تمكن حبها في قلبه كتمكن نفس كل حبيب من نفس حبيبه المغرم به، العاشق له، فعمر جعل تمكن حب محبوبته من قلبه كتمكن كل قلب أحب، وبادله محبوبه الحب، وهذا يدل على حب فائض شديد.

---

(١) من أمثلة "أل" الجنسية في شعر عمر كلمة الإنسان ١٣/١، كلمة الصبر ١/٢، كلمة الكاشح ٨/٨، كلمة الغدر ٣/١٢، كلمة المسبغين ١٢/٥٣ وغيرها.

ثانياً التنكير:

اعتمد ابن ابى ربيعة على التنكير فى إظهار مشاعره تجاه محبوباته ولكن التنكيرلم يَرِدْ بكثرة فى شعره كما ورد التعريف، يقول عمر على لسان الرباب محبوبته:

وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ قَالَهُ لَكَ كَاشِحٌ[1] كَمَا شَاءَ يُسْدِيهِ عَلَيَّ وَيُلْحِمُ[2]

فَصَدَّقْتُهُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَرُدَّهُ ولم أَمْلِكِ الأَعْدَاءَ أَنْ يتكلموا

٦-٥/٨١

تنكير كلمة "كاشح" جاء ليظهر عدم اهتمام المحبوبة، بهذا المبغض الذى ردد كلاماً يسئ إلى شخصها، وهى لا تود أن تتعرف عليه ؛ لأنه لا يهمها مَنْ قال عنها ولذلك تتحدث منكرة كلمة "كاشح" لتدل على التعميم فأى كاشح تحدث عنها لا يهمها وهى لا تستطيع إبعاد التهمة عن نفسها ، ولا تستطيع أن تُسكِت ألسنة الناس حين يتحدثون عنها، وكلمة "كاشح" تدل على تعمد الكذب والوشاية والنفاق والفتنة والمحبوبة تبرئ نفسها معتمدةً على أن قائل الحديث إنما هو كاره لها فكيف يصدقه عمر وهى لا تستطيع الحديث إلى عمر ، ولا تكذيب من يتحدثون عنها، وفى بيت آخر يتحدث عمر عن فتاة نكرة لم تدخل دائرة اهتمامه فيقول :

فَقَالَتْ فَتَاةٌ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهَا مُغَفَّلَةٌ فِي مِئْزَرٍ لَمْ تَذَرَّعِ

٤/٥٩

لتنكير كلمة "فتاة" دلالته وهى أنها فتاة صغيرة السن، قليلة الخبرة ولذا: فهى تخرج عن دائرة اهتمام عمر، فهى فتاة من الفتيات، ليس لها ما يجذب عمر إليها ولذا فإنها نكرة بالنسبة لعمر، وتظهر إحدى محبوبات عمر عشقها له معتمدة على التنكير فتقول

---

(١) الكاشح : المبغض - الديوان ص ١١٧ .

(٢) يسديه على ويلحم يقوله - مرة بعد مرة الديوان ص ٢١٥.

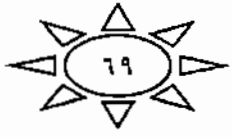

فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَّابِ غَيْرُ مُدَافَعٍ عَلَيَّ أَمِيرٌ مَا مَكَنْتَ مُؤَمَّرُ

٣٤/١

جاء تنكير كلمة "أمير" لإطلاق سلطة عمر العاطفية على محبوبته "نعم" ولتعميم تحكمه العاطفي نحوها، فهي تجيز له أن يأمرها وتفرض على نفسها الطاعة بل وتظهر موافقتها على كل ما يصدر منه داخل خبائها حباً وعشقاً، والتنكير يتناسب مع مشاعرها المتأججة نحو عمر بينما التعريف فيه تحديد لأمير بعينه، فلو قالت "عَلَيَّ الأمير" ففي ذلك تجبر الأمير، وسلطته، وتحكمه فيها سواءً وافقت أم لم توافق، فهي مجبرة مكرهة على إرضائه، وتلبية أوامره.

وفي بيت آخر يقول عمر:

وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَهْوَى غُيُوبَهُ وَرَوْحَ رُعْيَانٌ وَنَوْمَ سُمَّرُ

٢٧/١

جاء تنكير كلمة "رُعْيان"، و"سُمَّر" للتعميم وعدم التحديد، فعمر لا يهتم بشخص مَنْ ذهب مِنْ الرعيان، ومَنْ نام من السمار، ولا يكلف نفسه أن يعرفهم، ولكنه يتحدث بصفة العموم بمعنى أنه في الوقت الذي تحرك فيه عمر نحو خباء "نُعْم" نام السمار والرعيان وكانت الفرصة سانحة لدخول الخباء دون علم أحد، وتنكير كلمة "قمر" مع تصغيرها يدل، على الانزعاج النفسي منه، وعدم الأنس بنوره، لأنه بمثابة العدو الفاضح لعمر، والكاشف لأسراره وأعماله، وتصغير الكلمة جاء إسقاطاً لما في نفس عمر تجاه هذا القمر الفَضَّاح، وشعوره البغيض من ضوئه، ورغبته في غيابه حتى ينفذ ما يريد وينعم بالنعيم، ويظهر عمر موقف محبوبته "نُعم" بعد ما استيقظ الأهل، فيقول معتمداً على التنكير:

فَقَامَتْ كَئِيباً لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ مِنَ الْحُزْنِ تُدْرِي عَبْرَةً تَتَحَدَّر

٥٠/١

لتنكير كلمة "دم" دلالته. فالتنكير يعكس خوف المحبوبة، وقلقها، وفزعها من هول الموقف، فعمر في خيمتها والنهار قد أضاء الكون، والأهل قد استيقظوا لذلك فقول عمر "ليس في وجهها دم" يوحي باصفرار وجهها وخلوها من نقطة دم واحدة وتغير ملامح وجهها وخديها، لكن لو قال ليس في وجهها "الدم" بالتعريف لأفاد ذلك أن وجهها يخلو من الدم الوردي الأحمر الذي يزين وجهها وخديها، بمعنى الدم الذي يضفي إلى جمالها جمالاً، وإلى حسنها حسناً لكن "دم" بالتنكير يدل على اختفاء الدم نهائياً من وجهها وهذا يتناسب مع حالتها النفسية المتوترة.

ويقول عمر في بيت آخر :

اقْتُلِي الْعُذْرَ مِنْ فَتًى صَادِقٍ غَيْرِ آثِمِ

٣/١٠٥

تنكير كلمة "فتىً" يدل على أن شخصية عمر تنطوي على عموم الصفات التي تحتويها شخصية الفتى من فتوة، وقوة، ورجولة، وشجاعة، وجرأة، ومواجهة، وإقدام وغيرها، فلعمر عموم ما للفتى من الصفات، مع أنه محبوب لنساء عصره كلهن ولعل التنكير هنا له دلالة أخرى وهي أن عمر لا يحتاج أن يعرف نفسه قائلاً "الفتى" لأنه إذا قيل "فتىً" فمعروف أن عمر لا أحد غيره، وهذا يعكس أنه مشهور، معروف في مكة وأرجائها، وهو شخصية عامة معرفة بذاتها لا تحتاج إلى تعريف.(١)

(١) من أمثلة التنكير في شعر عمر كلمة وال في القطعة ١٨/١ كلمتي ملهى ومجلس ٢٣٨/١ ، كلمة قمر ٧/١٣ وكلمة رحمة وتعطف ٨/٩١ ، وكلمة فارس ١٢/١٠ وغيرها من الكلمات

ثالثا: من دلالات اللفظ:

الكلمة الإسلامية ودورها فى شعر عمر.

- ◊ أولاً : القَسَمُ بلفظ الجلالة "والله ".
- ◊ ألفاظ الدُّعَاء فى شعر عمر.
- ◊ شهادة الله فى شعر عمر.
- ○ ثانياً : كلمات إسلامية أخرى

مقدمة

بالرغم من أن عمر بن أبى ربيعة شاعر استنفد الغزلَ شعره، إلا أنه أكثر من استخدام الكلمات الإسلامية فى شعره، لتعبر عن حبه وهيامه بنسائه اللائى أحبهن وعشق جمالهن، ولعل وجوده ونشأته فى بيئة إسلامية هى "مكة" كان له أثره فى استخدامه لمثل هذه الألفاظ الإسلامية، من الكلمات الإسلامية التى اتكأ عليها عمر القَسَم "واللهِ" وألفاظ الدعاء مثل "يا ربِّ". و "رَبِّ" وغيرها، ولقد استمد ابن أبى ربيعة لفظ الجلالة "الله" ليشهد "الله" على حبه أو صدق نيته تجاه المحبوبة، وأرى أن هذه الألفاظ الإسلامية قد أثرت فى تراكيب عمر، ولذلك حاولتُ رصد تأثيرها وإبراز جمالها البلاغى الذى أضفته على تراكيبه. ولنبدأ بدراسة ألفاظ القسم "واللهِ".

أولاً:القسم بلفظ الجلالة "وَ اللهِ"

مِنَ المعتاد أن يقسم المسلم بلفظ الجلالة "والله" برهاناً على صدق خبر بعينه أو نفى موضوع بخصوصه، ومن هذه النقطة فإن عمر بن أبى ربيعة لم ينفصل عن شعوره الدينى، فبالرغم من أن شعره غزلى خالص، لكنه "ستخدم صيغة القسم "والله" ، ليبنى حالة شعورية محددة لإحدى محبوباته، وتارة أخرى يقسم بنفس الصيغة لنفى أكذوبة

لفقها الوشاة بغرض إفساد علاقته بحبيبته، ومن الجدير بالذكر فى هذا الصدد أن القسم بصيغة "والله" لا يجرى على لسان عمر فحسب، بل يجرى أيضاً على لسان محبوباته حتى يوصلن له إحساساً، أو يزلن من قلبه ريبة، لقد استخدم عمر القسم بلفظ الجلالة "والله" توظيفاً جديداً، ذلك لأن القسم بصيغة "والله" فى العادة يستخدم فى مواقف يريد المقسم أن يبرهن فيها على صدقه فيبادر، ويقسم "بالله"، حتى يذعن من يسمعه للأمر وينتفى عنه الشك، ويرتاح للقضية، ولقد أقسم ابن أبى ربيعة بصيغة القسم "والله" فى مواقف كثيرة وفى أبيات متعددة من شعره، وللفظ الجلالة ماله من التقديس والإجلال والتعظيم فى قلوب المسلمين لذا أقسم عمر بـ "الله" حتى يقنع من يحب بأمر من الأمور كما سيجىء ولنبدأ بضرب الأمثلة من شعر عمر، فهذا عمر يقسم بصيغة "والله" لمحبوبته أنه لم يحب امرأة قط قبلها سواءً أكانت ثيباً أم بكراً يقول عمر:

وَاللهِ مَـــا أَحْبَبْـــتُ حُـــبَّكُمُ لاَ ثَيِّبَـــاً خُلِقَـــتْ وِلاَ بِكْـــرَاً

٣٦-٣ (١)

أحب عمر امرأة من قبيلة "أود" اليمنية ولكن هذه المرأة لم تلق إلى حبه بالاً ولم تعره اهتماماً، فهو يحاول لقاءها بشتى الطرق، وهى تدلُّ عليه دلالاً يشعل أحاسيسه المضطرية فى قلبه، ولذا فعمر يحاول أن يستميل قلبها، ويكسب ودها فلا يجد وسيلة لذلك إلا أن يقسم بقسم عظيم القدر على أنه يحبها فلا يجد أعظم من لفظ الجلالة "والله" ليبرهن على صدق قسمه، ولذا أقسم بصيغة "والله" على أنه أحب المرأة حباً من نوع خاص لم يحبه لامرأة خلقت على ظهر الأرض فإلى الآن لم تخلق المرأة الثيب أو البكر التى يحبها عمر مثل هذا الحب، وفى قصيدة أخرى يقسم ابن أبى ربيعة لمحبوبته بالقسم "والله" أن

(١) الرقم الأول، رقم القطعة أو القصيدة فى الديوان ، والرقم الأخر رقم البيت فى القطعة أو القصيدة.

حالة من الذهول والدهشة والحيرة قد انتابته وهو فى (مِنىً) يرمى الجمار عندما طلعت عليه امرأة هى شمس فى جمالها يقول :

فَوَاللّهِ مَا أَدْرِى وَإِنِّى لَحَاسِبُ بِسَبْعٍ رَمَيْتُ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ

٤/١١٣ فى هذا البيت يتكىء ابن أبى ربيعة على القسم "والله" ليصل إلى أقصى غايات المعنى فى التعبير عن جمال محبوبته وسحرها، ومما يدل على ذلك استغراق عمر فى النظر إلى تلك المرأة، ومن ثم عدم تركيزه فى رمى الحصوات، فقد شغله جمالها عن رمى الجمار، ولأسلوب النفى "ما أدرى" دلالة بخصوصها وهى نسيان عمر لعدد الحصى التى رماها بالرغم من الجملة الاعتراضية "وإنى لحاسب" التى تؤكد علمه بالعدد والحساب، ولكن المرأة الجميلة بهرته بجمالها فشُغِلَ به، فنسى- وهو الماهر فى الحساب أكان الرمى بسبع حصواتٍ أم بثمانٍ، ولما أرسلت إحدى محبوبات عمر إليه رسالة تعتب عليه وتندره بالهجر والإبعاد لم يكن من عمر إلا أن يقسم لها بالله إنه لا يزال طائعاً لها منفذاً لأوامرها فى كل قول وفعل يقول :

وَقُلْتُ لَهَا : وَاللّهِ مَا زِلْتُ طَائِعاً لَكُمْ سَامِعاً فِى رَجْعِ قَوْلٍ وَفِى فِعْلِ

٦/١٧٩

أراد ابن أبى ربيعة أن يؤكد حبه لتلك المرأة، فلم يجد سوى القسم بصيغة "والله"، لأن القسم بتلك الصيغة قسم عظيم، يجد صدىً عند سامعه وأثراً فى نفسه يصل به إلى تصديق القسم ، أما أسماء الفاعل (طائعاً - سامعاً) فبعطيان دلالة استمرار طاعة عمر وانقياده لمحبوبته ثم يجئ قوله "رجع قول" ليعطى دلالة أنه منفذ لكل أمر تأمره به وكذلك كل فعل "وفى فعل"، وقد أقسمتْ محبوبات عمر بصيغة "والله" ليطهرن مشاعرهن تجاه عمر ومن أمثلة ذلك قول عمر، على لسان "ذات الخال" محبوبته.

وَقُولاً لَهُ: وَاللّهِ مَا المَاءُ لِلصَّدَى بِأَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ لِقَائِكَ فَاعْلَمَا

تقسم "ذات الخال" بصيغة "والله" لعمرٍ لتثبت له أنه يحتل منزلة راقية فى قلبها فهى تتشوق إلى رؤيته وترغب فى مقابلته أكثر مما يتشوق عطشانٌ إلى جرعة ماء وهذه مبالغة تظهر مدى حبها له ولهفتها عليه.(١)

من خلال العرض السابق يمكن القول إن عمر استخدم صيغة القسم "والله" ليعبر عن حالات شعورية، ومواقف وجدانية قد أحسها تجاه محبوباته وكذلك القول بالنسبة لمحبوباته فقد استمد من نفس الصيغة للتعبير عن مشاعرهن تجاهه.

وُفق عمر إلى حد كبير فى استخدام صيغة القسم "والله" فى ثنايا تراكيبه وإن هذه الصيغة قد تناسبت مع مشاعره التى أراد توصيلها لمحبوباته. وأعطت التراكيب جمالاً إلى جمالها ولم تكن صيغة "والله" دخيلة ولا غريبة عن تراكيب عمر بل كانت متلاحمة متراصة إلى جانب التراكيب العمرية.

ثانياً : الدعاء

الدعاء فى لسان العرب هو الرغبة إلى الله عز وجل(٢) وقد ذكر أبو إسحاق فى قوله ﷻ:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

(البقرة/١٨٦)

معنى الدعاء لله على ثلاثة أوجه:

فَضَرْبٌ منها توحيده والثناء عليه كقولك: يا الله لا إله إلا أنت.

والضَّرْبُ الثانى:

مسألة العفو والرحمة كقولك: اللهم اغفر لنا، الضرب الثالث مسألة الحط من الدنيا كقولك:

---

(١) من أمثلة قسم عمر بصيغة "والله" ٤/٧٤ ، ٥/١٥٧ ، ٢/٩٨ ، ٦/٢٦٣ ، ٧/١٥٩ ، إلى غير ذلك ، ومن أمثلة قسم المحبوبة بصيغة "والله" ١٢/١٦٠ ، ٣١/١ إلى غير تلك من الأمثلة .

(٢) لسان العرب ابن منظور ٣٦٠/٤ مكتب التراث – بيروت لبنان .

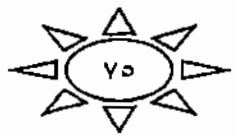

اللهم ارزقني مالاً وولداً، وإنما سمى هذه جميعاً دعاءً لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله يا الله، يا رب، يا رحمن، فلذلك سمى دعاءً" [1]، وقد توجه عمر بخالص دعائه وكامل رجائه إلى الله ﷻ كما يتوجه غيره من المسلمين، ولكنَّ دعاء الشاعر ورجاءه لربه مختلف عن دعاء غيره من المسلمين، لأن دعاءه لا يستوجب رفع ثمٍّ، أو إبعاد غم أو دفع ظلم وجور أو تبوُّء منزلة عظمى من منازل الآخرة ولكنه يختص بأمور الحب والوداد بينه وبين محبوباته وقد قسمتُ الدعاء عند عمر محاورَ ثلاثة بحسب صيغة الدعاء التي وردت في شعره – وهي:

١- الدعاء بلفظة "الله" .

٢- الدعاء بلفظة "يا رب".

٣- الدعاء بلفظة "الإله"

أولاً : الدعاء بلفظة "الله" :

لدعاء عمر بلفظة "الله" أغراض شتى منها دعاؤه لمحبوبته بالخير أو دعاء عمر على الوشاة الذين يحاولون إفساد علائق الحب بينه، وبين محبوباته، أو أنه يدعو على طرفي الحب-عمر ومحبوباته- بعقاب الله إن بَيَّتَ أحدهما نية في قطع صلات الود، أو يدعو على نفسه أحياناً. ولنبدأ بدعاء الشاعر لمحبوباته بالخير، فها هو يدعو لـ "زينب" أن يخزي الله من يجحد لها فضلاً إذا وصلت من تحب فيقول:

فَـــإنْ دَاوَيْـــتِ دَا سَـــقَمٍ فَـــأخْزَى اللهُ مَـــنْ كَفَـــرَكِ

٣/٣١٧

يدعو عمر محبوبته "زينب" للقائه، ولكن "زينب" تخشى إن قابلته ألا يصون عهدها ووده، لذلك فإن عمر يحاول أن يقنعها بوفائه لها، وصدقه في حفظ حبها وسرها ولذلك يتوجه إلى الله بالدعاء أن ينزل الذل والخزي عليه إن جحد فضلها أو باح بسرها

---

(١) السابق ٤/٣٥٩ .

وقد عبر عمر عن حبه لها بكلمة "سقم" التى تدل على أنه مريض بحبها، لا يشفيه من مرضه إلا إطلالة تطلها "زينب" عليه، وفى دعاء آخر يتضرع عمر إلى "الله" أن ينعم على محبوبته بدخول جنة الخلد فيقول:

أَدْخَلَ اللّٰهُ رَبُّ مُوسى وَعِيسى جَنَّةَ الخُلْدِ مَنْ مَلاَنى خَلُوقَا (١)

١/٢٨٥

يدعو عمر الله ﷻ أن يدخل محبوبته طيبة الرائحة جنة الخلد حباً لها وإعزازاً لشخصها، ويدل هذا الدعاء على حبه لها ورضاه عنها ورغبته فى شكرها ومكافأتها وليس كدخول الجنة مكافأة، وهناك نقطة أخرى أشير إليها وهى دعاء ابن أبى ربيعة على الوشاة الذين يجتهدون فى زعزعة أواصر الوداد، وهدم حصون الحب بين العاشقين وفى ذلك يقول عمر:

لَعَنَ اللّٰهُ مَنْ ثَقَّلَ هٰذا وَثْنى مَنْ وَشَى بِلَعْنٍ وهَمَّا ١٦/٩٥ (٢)

تحرك قلب "قريبة" - محبوبة عمر- لما علمت أن الوشاة هم الذين أفسدوا وشائج الحب بينها وبين عمر مما أدى إلى ضعف وهزال فى جسد عمر، فتوجهت إلى الله ﷻ بالدعاء على ذلك الواشى الذى فرق بينهما بل دعت ربها أن ينتقم من كل مَنْ حاول وَهمَّ أن يفسد بينهما، وهذا الدعاء دليل على حبها لعمر ورغبتها فى وصل ما انقطع من صلات الحب بينهما، أما النقطة التى أود الإشارة إليها فهى دعاء عمر على نفسه بلفظة "الله" وعادة ما يكون هذا الدعاء حسب إحساس عمر تجاه من يحب ومن أمثلة ذلك قوله:

لا شَفَانِى اللّٰهُ منهَا ولَكن زِدْ فِى قَلْبِى عَلَيْهَا صُدوغْ

---

(١) الخلوق: الطيبُ ، يريد أنهما كثيرة التعطر – الديوان ص ٤٥٠.

(٢) هَمَّا: من هَمَّ يَهِمُّ أى عزم على القيام بالأمر.

بالرغم من رحيل محبوبة عمر بعيداً عن دياره، وبالرغم من نصح الناصحين له بنسيانها إلا أنه لم يَنْسَهَا ولم يحاول ذلك أبداً بل على العكس لقد توجه إلى الله ﷻ بالدعاء طالباً منه أن يديم حبها وأن يزيد الجروح الملتهبة بداخله وذلك وفاءً لها، وهياماً بها وحباً فيها، وحنيناً لها، ويعكس هذا الدعاء مدى حبه وإخلاصه لتلك المرأة فهو متمسك بحبها بالرغم من علمه برحيلها.(١)

ثانياً: الدعاء بصيغة "يا رب"

استخدم عمر في دعائه إلى الله صيغة "يارب" ﷻ كي يشكو إلى الله ﷻ آلام الحب، وأوجاع الهوى. فعندما يضيق صدره من حب إحدى النساء فإنه يتوجه إلى الله مخاطباً ربه بصيغة "يا رب" حيث يبث شكواه لربٍ قدير، عالم بحاله، قادر على أن يشفي ما بصدره، يقول عمر شاكياً آلامه من جراء حب هند إلى ربه:

وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تُطَاوِلُ هَجْرِي ... رَبِّ لاَ صَبْرَ لِي عَلَى هَجْرِ هِنْدِ

رَبِّ قَدْ شَفَّنِي، وَأَوْهَنَ عَظْمِي ... وَبَرَانِي وَزَادَنِي فَوْقَ جَهْدِي

رَبِّ حَمَّلْتَنِي مِنَ الحُبِّ ثِقْلاً ... رَبِّ لاَ صَبْرَ لِي، وَلاَ عَزْمَ عِنْدِي

رَبِّ عُلِّقْتُهَا تُجَدِّدُ هَجْرِي ... ذَاكَ، وَاللهِ مِنْ شَقَاوَةِ جِدِّي

لَيْسَ حُبِّي لَهَا بِبِدْعَةِ أَمْرٍ ... قَدْ أَحَبَّ الرِّجَالُ قَبْلِي وَبَعْدِي

جَعَلَ اللهُ مَنْ أُحِبُّ سِوَاكُمْ ... مِنْ جَمِيعِ الأَنَامِ نَفْسَكِ يَفْدِي

---

(١) من الأمثلة دعاء عمر بلفظة "انه" ٤/٢١٣، ١٣/١٨٩، ٦/٢٢٠، ٢٣/١٣٨، ٨/٢٢، ١/٢٨٥ وغيرها من الأبيات.

المتأمل فى هذه الأبيات يجد أن عمر استخدم كلمة "رب"فى تركيبه مراتٍ خمساً فى أبياتٍ خمسة، واستخدم كلمة "اللّه" فى البيت السادس.

وبناءً عليه فإنه لا يخلو بيت شعر من أبيات عمر الستة من لفظة دعاء يتضرع خلالها عمر إلى ربه وهذا يدل على نقطتين

الأولى: مدى حب عمر لهند، فهو يحبها حباً عظيماً.

والثانية هى: مقدار الألم الذى يسببه حبها لعمر، وبالرغم مما يلاقيه عمر من حب هند إلا أنه يتمسك به ويدعو الله - فى البيت السادس - أن يديم هذا الحب وهذا العشق.

وقد تشتكى النساء الهم والألم الذى سببه لهن حب عمر وفى ذلك يقول عمر على لسان إحدى محبوباته :

يَا رَبِّ إِنِّى قَدْ شُغِفْتُ بِهِ ... أَعْقِبْ فُؤَادِى مِنْهُمُ صَبْرَا

١٢/٣٨

تدعو محبوبة عمر "اللّه" بصيغة "يا رب" طالبة منه أن يصبرها على ادعاءات صديقاتها بهجر عمر لها، وتشكو إلى "اللّه" ذلك الحب العمرى الذى أتعبها وأرّقها وآلمها.(١)

ثالثاً: الدعاء بصيغة "الإله"

لم يستخدم عمر صيغة "الإله" فى دعائه إلا مرة واحدة هى قوله:

أَيُمَا أَنْ يَكُونَ كَانَ هَوىً مِنْ ... كِ فَزَادَ الإِلَهُ فِيهِ وَتَمَّا

---

(١) من أمثلة الدعاء بصيغة يا رب عند عمر ١/١٤٤ ، ٣/١٤٤ ، ٤/١١٤٤ وغيرها .

دلت محبوبة عمر عليه دلالاً أتعب قلبه وأحزنه وبالرغم من ذلك فإن عمر يؤكد حبه لها قائلاً:

إن كان هذا البعاد والهجر والدلال ناتجاً عن حُبِّكِ لى فإننى أدعو "الإلـه" القادر أن يزيد ذلك البعاد والدلال والهجر، وهذا دليل على حبه لها، وإخلاصه فى هواها وتفانيه فى ذلك فبالرغم من تألمه من بعادها لكنه يفرح كأن البعاد ناتج عن حبها.

ثالثاً شهادة الله :

إن الله على كل شئ شهيد، وقد وردت شهادة الله فى القرآن الكريم مرات عديدة، وبدلالات مختلفة، ولكن أن تُذْكَر "شهادة الله" فى دنيا العشق، وعالم الحب فهذا هو الجديد حيث وظف ابن أبى ربيعة "شهادة الله" فى أبياته الشعرية، واتكأ عليها فى تصوير مواقفه الغرامية فتارةً يشهد الله على حبه، وأخرى يُشهد الله على أن أمله الوحيد هو رؤية محبوبته .... إلخ . يقول عمر :

يَشْهَدُ اللهُ عَلَى حُبِّى لَكُمْ ... وَدُمُوعِى شَاهِدٌ لِى وَحَزَنْ

قُلْتُ: يَا سَيِّدَتِي عَذِّبِنِى ... قَالَتْ: اللَّهُمَّ عَذِّبْنِى إِذَنْ

١٢٠/٧-٨ قررت محبوبة عمر فراقه؛ لأنها لا تثق فى حبه ووده، فأراد عمر أن يقدم لها الحجة على حبه، حتى تقر عينها، وتصدقه، وتصله، فقدم لها شهادة عظيمة على حبه، شهادة من يعلم بخفايا الصدور، شهادة الله رب العالمين، لأن الله وحده هو المطلع على حبه لها، العالم بشعوره ناحيتها، وهناك شاهد آخر على حبه لها وهو الدموع المتناثرة على خده .

وفى توظيف آخر "لشهادة الله" عند عمر نجد أنه يشهد الله على صدق مشاعره ويظهر أن أقصى غاية يصبو إليها هى رؤيته لتلك المرأة يقول عمر :

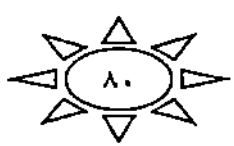

أنْ أرَاهُ ، واللّهُ يَعْلَـــمُ يَوْمـــاً مُنْتهَـــى رَغْبَتِـــى وَمَـــا أتمنَّـــى

٣/١١٩

يقسم عمر فى بيته السابق بشهادة الله، وعلمه ببواطن الأمور وسرائر الصدور ليبرهن على مدى حبه لتلك الظاعنة، وإخلاصه لها، ووفائه لودها؛ لذلك فكل ما يأمل عمر أن يراها ، وهذا ما يصبو إليه، وفى بيت آخر يقول:

لاَ تُهْلِكِنِّـــى فـــى عَـــذَابِكُم فـــاللّهُ يَعلـــمُ غَائِـــبَ القَلْـــبِ

٩/٢٠٦

استحال حب تلك المرأة عذاباً يكاد يهلك قلب عمر، لذلك فهو يستجيرها ويرجوها أن ترحمه من حبها الذى فيه هلاكه بأن تصله، وتتقرب إليه، ويستشهد عمر بالله العالم بمكنون القلوب، وأسرار النفوس فالله يعلم صدق حبه لها، وليس بعد علم الله علم، ولا شهادة الله شهادة.(١)

وبناءً على العرض السابق فإن عمر قد استخدم "شهادة الله" فى شعره ليعضد موقفه، ويثبت لمحبوباته صدق حبه ومودته وأرى أن عمر لم يحسن استخدام شهادة الله ﷻ لأن شهادة الله تسمو عن الغزل والحب وعالم النساء .

ثانيا كلمات إسلامية أخرى :

وردت كلمات إسلامية كثيرة فى شعر عمر كالطواف، الحج، البرّ، القضاء، القدر العمرة، الجنة، التشريق، الحجرات، المحراب وغير ذلك، وقد وظف ابن أبى ربيعة هذه الكلمات فى تغزّله حيث نقلها من إشعاعها الإسلامى إلى إشعاع آخر هو الإشعاع الغزلى، ومن أمثلة الكلمات الإسلامية التى اتكأ عمر عليها لإثبات صدق مودته لمحبوبته "القتول" قوله:

---

(١) من الأمثلة على "شهادة الله" القطعة ٢/١٥٦ ، ٢٧/٣٢٩ ، ٩/٢١١ ، ٤/١٥١ ، ٤٢ ، /٧ وغيرها .

إنِّـــى وَمَـــنْ أَحْـــرَمَ الْحجِـــيجُ لَـــهُ ... وَمَوْقِـــفَ الْهَـــدْىِ بَعْـــدُ وَالْبُـــدْنِ

وَالْبَيْـــتِ ذِى الأَبْطَـــحِ الْعَتِيـــقِ وَمَـــا ... جُلِّـــلَ مِـــنْ غَـــصْبٍ دِى الْيَمَـــنِ

والأَشْـــعَثِ الطَّـــائِفِ الْمُهِـــلِّ وَمَـــا ... بَـــيْنَ الـــصَّفَا والْمَقَـــامِ والـــرُّكنِ

وَزَمْـــزَمٍ والحِمَـــارِ إِذْ رُمِيَـــتْ ... وَالْجَمْـــرَتَيْنِ اللَّتَـــيْنِ بالْبَطْـــنِ

وَمَـــا أَقَـــرَّ الظِّبَـــاءَ بالْبَيْـــتِ والْـــوُرْقِ ... إذا مَـــا دَعَـــتْ عَلَـــى فَنَـــنِ

مَـــا حَنَّـــتْ عَهْـــدَ الْقَتُـــولِ إِذْ شَـــحَطَتْ ... وَلَـــوْ أَنَوْهَـــا بِـــهِ لِتَـــصْرِمَنى

٦-٧/١٣٧

يحشد ابن أبى ربيعة قدراً هائلاً من الكلمات التى لها دلالة إسلامية وهى:

"الحجيج -الهدى- البدن- البيت العتيق- الأشعث - الطائف - زمزم الصفا المقام - الركن - الجمار" مقسماً بها على صدق حبه، وإخلاص نيته ورغبته فى كسب قلب القتول، إن المتأمل فى هذه الكلمات يجد أنها كلمات تستخدم للدلالة على شعيرة معظمة فى الإسلام هى شعيرة الحج وهى تجسد أركانه من طواف، ورمي للجمار، وسير بين الصفا والمروة .... إلخ .

ولكن ابن أبى ربيعة جذبها إلى دائرة غزله، وجعلها مرتكزاً يرتكز عليه، كى يثبت لمحبوبته حبه ومودته، ومن الأمثلة الأخرى قوله لإحدى محبوباته:

إنِّـــى أَنُـــوبُ إِلَيْـــكِ تَوْبَـــةَ مُذْنِـــبٍ ... يَخْـــشَى الْعُقُوبَـــةَ مِـــنْ مليـــكٍ مُـــنْعِمِ

حَتَّـــى أَنَـــالَ رِضَـــاكِ حَيْـــثُ عَلِمْتُـــهُ ... بِطَرِيـــقِ مَـــالِى وَالتِّلِيـــدِ الأَقْـــدَمِ

وَأَعُـــودُ مِنْـــكِ بِـــكِ الْعَـــدَاةَ لِتَـــصْفَحِى ... عَمَّـــا جَنَيْـــتُ مِـــنَ الـــذُّنُوبِ فَتَرْحَمِـــى

إِنْ تَقْبَلِـــى عُـــذْرِى فَلَـــسْتُ بِعَائِـــدٍ ... حَتَّـــى تُعَـــادَرَ فِـــى الْمَقَـــابِرِ أَعْظُمِـــى

٢٧-٢٤/٩١

اعتمد عمر على كلمات دينية لها دلالتها الإسلامية الخالصة وهى:

"أتوب- توبة -مذنب - يخشى - العقوبة - مليك - منعم - أعوذ تصفحى - جنبيت - الذنوب - ترحمى - تقبلى عذرى - المقابر - أعظمى" .

ومن المعروف أن هذه الكلمات تدل على توبة العبد الراجع إلى ربه، النادم على ما اقترف من الإثم، المُصِرِّ على عدم تكرار الذنب، الراغب فى الرجوع إلى الله ﷻ ونجد أن عمر اتكأ على هذه الكلمات ونقلها إلى دائرة غزله حيث جعل هجره لها، وبعده عنها ذنباً يستلزم الإقلاع عنه، ولابد من الإقلاع عنه، وأخذ يرجوها أن تقبل عذره، وترحمه من هجرها، ليس هذا فحسب بل إنه يعاهدها إن قبلت اعتذاره فلن يرجع إلى هجرها طيلة عمره، ومن الأمثلة قوله:

أَدْخَلَ اللّٰهُ رَبُّ مُوسى وَعِيسى ... جَنَّةَ الْخُلْدِ مَنْ مَلاَنِي حَلُوقَا

مَسَحَتْهُ مِنْ كَفِّهَا بِقَمِيصى ... حِينَ طَافَتْ بِالْبَيْتِ مَسْحاً رَقِيقَا

١/٢٨٥

تضمنت تراكيب بيتى ابن أبى ربيعة كلمات إسلامية "جنة الخلد - بالبيت" حيث يعتمد الشاعر فى بيته الأول على لفظة "جنة الخلد" التى تظهر مدى سعادته وفرحته، ومطلق رضاه عن محبوبته أما البيت الثانى فإن تراكيب البيت تتكاتف لإبراز حدث معين تم بين عمر ومحبوبته، ومن أبرز الكلمات كلمة "البيت" فهى المحور الذى تم الحدث فى نطاقه.

ومن هنا يكون عمر قد نقل كلمة "جنة الخلد" وكلمة "البيت" من إشعاعها الإسلامى إلى إشعاع آخر خاص بغزله مستفيداً من إشعاعها الإسلامى .

ومن الألفاظ الإسلامية التى جذبها عمر إلى غزله لفظة حرام فى قوله:

مَا بَالُ قَلْبِكَ لاَ يَزَالُ يَهِيجُهُ ... ذِكْرُ عَوَاقِبَ غِبُّهُنَّ سَقَامُ

ذِكْرُ الَّتِى طَرَقَتْكَ بَيْنَ رَكَائِبٍ ... تَمْشِى بِمِرْهَرِهَا وَأَنْتَ حَرَامُ

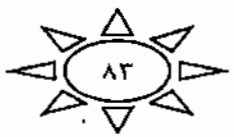

بالرغم من أن عمر كان محرماً يرتدى ملابس الإحرام، وقد حرمت عليه كثير من المحللات إلا إنه ما يزال يمارس هوايته فى مقابلة النساء فى موسم الحج، ولفظة "حرام" من الكلمات التى تدل على أداء المسلم لفريضة الحج إلا أن عمر أدخلها فى نطاق غزله بتلك المرأة ، وهكذا وجدنا عمر قد امتاح من معين الإسلام ، لا يترك شعيرة ، ولا لفظاً اكتسى برداء الإسلام ، ولا مكاناً صار له فى الإسلام مكانة إلاَّ وقد أخذ طريقه إلى شعر عمر، مصبوغاً بصبغة غزلية على يديه، مما أثار حوله الخصومة بين المؤيدين والمعارضين.(١)

رابعاً: توظيف اللمة فى مقطع الغزل من قصيدة عمر التى يقول فى مطلعها :-

أَلَمْ تَرْيَعْ عَلَى الطَّلَلِ المُرِيبِ ... عَفَا بَيْنَ المُحَصَّبِ فَالطُّلُوبِ

أولاً : مقطع الغزل من القصيدة :- "النص"(٢)

أَلَمْ تَرْيَعْ عَلَى الطَّلَلِ المُرِيبِ ... عَفَا بَيْنَ المُحَصَّبِ فَالطُّلُوبِ

بِمَكَّةَ دَارِساً دَرَجَتْ عَلَيْهِ ... خِلَافَ الْحَيِّ دَيْلُ صَبا دَءُوبِ

فَأَقْفَرَ غَيْرَ مُنْتَضَدٍ وَثُوَّى ... أَجَدُّ الشَّوْقِ لِلْقَلْبِ الطَّرُوبِ

كَأَنَّ الزَّيْعَ أُلْبِسَ عَبْقَرِيّاً ... مِنَ الجَنَدِيِّ أَوْ بَزِّ الجَرُوبِ

كَأَنَّ مَقَصَّ رَامِسِهِ عَلَيْهِ ... مَعَ الْحَدْثَانِ سُحْلٌ فِى عَسِيبِ

لِنُعْمٍ إِذْ نُعَاوِدُهُ هُيَامٌ ... بِهِ أَعْيَا عَلَى الْحَاوِى الطَّبِيبِ

لَعَمْرِكَ إِنَّنِى مِنْ دَيْنِ نُعْمٍ ... لَكَالدَّاعِى إِلَى غَيْرِ المُجِيبِ

---

(١) من أمثلة الكلمات الإسلامية فى شعر عمر كلمى الحج والطواف ٢/٢٩ ، قضاء وقدر ٩/٣١ ، حج ١٠/٧٤ أصوم ١٥٢/١٠٧ ، الحجر ٤/١١٣ ، التشريف ٨/٢١٦ وغيرها من الكلمات الإسلامية

(٢) الديوان – ص٣٧٧ قطعة ٢٠٥ الأبيات من ١-١٣ .

وَمَـا نُعْـمٌ وَلَـوْ عُلِّقْـتُ نُعْمَـاً ... بِجَارِيَـةِ الشَّـوَالِ وَلاَ مُثِيْـبِ

وَمَـا تَجْـزِي بِقَـرْضِ الـوِدِّ نُعْـمٌ ... وَلاَ تَعِـدُ الشَّـوَالَ إلى قَرِيـبِ

إذَا نُعْـمٌ نَـأَتْ بَعُـدتْ، وَتَعْـدُو ... غُـوَاةٍ أن تُـزَارَ مَـعَ الرَّقِيـبِ

وَإنْ شَـطَتْ بِهَـا دَارٌ تَعَيَّـا ... عَلَيْـهِ أَمْـرُهُ بَـالَ الْعَرِيْـبِ

أُسَـمِّيها لِتُكْـتَمَ بِاسْـمِ نُعْـمٍ ... وَيُبْـدِي القَلْـبُ عَـن شَـخْصٍ حَبِيـبِ

وَأَكْـتُمُ مَـا أُسَـمِّيْهَا وَتَبْـدو ... شَـوَاكِلُهُ لِـذِي اللُّـبِّ الأَرِيـبِ

ق ٢٠٥ ص ٣٧٧ الأبيات من (١-١٣)

"نُعْمٌ" هى محبوبة ابن أبى ربيعة التى يتغزل بها فى قصيدته هذه، هى أشهر محبوباته التى صدر باسمها قصيدته الأولى ذات الشهرة الواسعة التى يقول فى مطلعها:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ ... غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ؟

٧/٩٢

وقد تغزل عمر كثيراً بمحبوبته "نُعْم" حيث ورد ذكرها ثلاثاً وأربعين مرة فى ديوانه، ولعل هذا العدد يعكس مدى حبه لها، واهتمامه بها، أما القصيدة فتنقسم قسمين:

الأول: "١-١٣" يقف فيه الشاعر على أطلال ديار "نعم" الظاعنة، يبثها نحواه وحسرته على فراق مَنْ يحب، كما يشكو عمر ألم قلبه لتلك البقايا الباقية من الديار فـ "نعم" لم تشعر بحبه، ولم ترح قلبه، والآن أصبح الوصول إليها دربٌ من الجنون، لأنها رحلت ولن تعود، أما القسم الآخر (١٣-٢٩) فيفخر فيه ابن أبى ربيعة بنفسه، ويعتز بقومه ومآثرهم، وأفضالهم، وآثرت أن أقف محللاً الكلمة فى المقطع الأول لتوافر الأدوات البلاغية التى تعيننى على التحليل.

ثالثا دلالات بعض الألفاظ:-

أولاً الدلالة الصرفية:-

أولاً صيغ المبالغة:-

تمثل صيغة المبالغة فى مقطع الغزل مراتٍ ثلاثاً فالشاعر يطالعنا فى بيته الثانى بصيغة المبالغة "دءوب" فى قوله "صَبا دءوب". فالطلل الذى يحادثه ابن أبى ربيعة قد تتابعت عليه الرياح، فطمست معالمه، واضحت أوصافه، وتغير رسمه ذلك لأن الرياح التى هبت عليه لم تكن رياحاً معتادة، لكنها رياح دءوب متتابعة مستمرة وكأنها قد قصدت إلى الديار قصداً، ويجئ عمر بصالغة ثانية فى البيت الثالث لتحدث توازناً صرفياً، تعبيراً عن توازنٍ نفسى فى الوقت ذاته هى "الطروب" فى قوله "أجد الشوق للقلب الطروب"، فالقلب دائم الفكر والحب والشوق والعشق لـ "نعم" وحال الطلل الذى هبت عليه رياح دءوب قد هيج الشوق للقلب الطروب، فاستمرار ألم القلب ومعاناته منبعث من صورة الطلل الموحشة نتيجة للرياح المتتابعة التى أثرت فيه وفى نهاية المقطع الغزلى يُنْهى ابن أبى ربيعة بيته بصيغة مبالغة هى "الأريب" فى قوله "لذى اللب الأريب"، وفى ذلك دلالة على أن الشاعر فعل كل ما فى طاقته كى يخفى اسم محبوبته الأصلى، فـ "نعم" اسم مستعار و قد اجتهد الشاعر فى إخفاء الاسم ولكن الرجل الأريب الشديد الفكر، العطيم الحنكة ، الكثير الخبرة هو وحده يستطيع أن يعرف المحبوبة المقصودة .

ثانيا اسم الفاعل:-

أولى صيغ اسم الفاعل التى وردت فى مقطع الغزل هى "الحاوى"، وللصيغة دلالتها ، وللتعريف بالألف واللام دلالته، فصيغة اسم الفاعل "حاوى" تدل على تمكن الحاوى من رقيته التى يرقى بها مرضاه، ومهارته فى ذلك ، وتوقع الشفاء بتلك الرقية أما التعريف بالألف واللام "الحاوى" فيدل على شهرة واسعة النطاق لهذا وتوقع، فهو ليس

أى حاوٍ إنما هو رجل متخصص متميز له باع "وذراع" فى مجاله، ومن هنا إذا تعثر شفاء ابن أبى ربيعة على الحاوى الطبيب ، يكون داؤه فى قلبه، متوغلاً فى دمه، وما هذا الداء سوى حب شديد لـ "نعم". ثم يتكئ عمر على صيغتين لاسم الفاعل هما "الداعى" و"المجيب" وكلاهما تعكسان شعورين متناقضين لعمر ومحبوبته تجاه بعضهما بعضاً فهو كداع متضرع، كثير الرجاء، مصر على عودته، وهى ترفض إجابة الدعاء، وتصر على ذلك، هو فى موقع المغلوب على أمره، القانع بما يناله من حبها، وهى فى موقع الفوقية والاستعلاء وتحديد المصير وأخذ القرار، وتأكيداً لحال عمر مع "نعم"، وحالها معه يجئ الشاعر بصيغتين لاسم الفاعل فى البيت التالى مباشرة هما "جازية - مثيب" فهى لا تأبه بحب، ولا تجازى بود، ولا ترق لقلب .

ثانياً الدلالات النحوية : "التقديم والتأخير"

قدم ابن أبى ربيعة وأخر فى مقطع الغزل مرات عدة، ولكل تقديم وتأخير تعبير شعورى بخصوصه فمثلاً فى قوله :

لِـــنُعْمٍ إِذْ تُعـــــاوِدُهُ هُيَـــــامٌ بـــه أَعْيَـــا عَلَـــى الحَـــاوِى الطَّبِيـــبِ

قدم عمر "إذ" الحينية والجملة الفعلية "تعاوده" على المبتدأ هيام فأصل الكلام "لنعم هيام إذ تعاوده" لكنه يرتكز على حالة شعورية خاصة تنتابه فيشعر بآلامها عندما يشعر بافتقاده "نعم". وفى تلك اللحظة تنهال الآلام والأحزان، والأشواق المتأججة، فتملأ قلبه، وتمضى به إلى حالة مرض، تستعصى على كل راقٍ حاذق معالج وفى معرض آخر للتقديم والتأخير يقدم عمر شبه الجملة فاصلاً بين الفعل وفاعله .

وذلك فى قوله :

وَمَـــا تَجْـــزِى بِقَـــرْضِ الـــوُدّ نُعْـــمٌ وَلاَ تَعِـــــدُ النَّـــــوَالَ إلى قَرِيـــــبِ

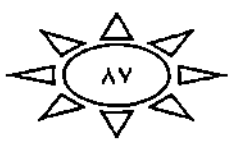

لتقديم شبه الجملة "بقرض الود" على الفاعل "نعم" دلالته، ذلك لأن القضية كلها، والأمر كله متعلق بفكرة "قرض الود" فـ "نعم" لا تبادل وداً، ولا تشعر بحرارة ولا لهيب مثلما يشعر من يحبها، ولأن قضية "قرض الود"، وعدم الوفاء به هى التى تقتل عمر وتؤثر فيه، فقد جعلها فى الصدارة وفى المقدمة وفصل بها بين الفاعل وفاعله.

وفى بيت آخر يقدم عمر فاعل جملة الشرط على فعله يقول:

إذَا نُعْمٌ نَـأَتْ بَعُـدتْ، وَبُعْـدُ عَـوَادٍ أن تُـزَارَ مَـعَ الرَّقِيـبِ

أفاد التقديم وضع "نعم" فى قلب دائرة الضوء، وفى محور الاهتمام، وصدارة الأمور التى تشغل تفكير عمر، فالاهتمام كل الاهتمام بـ "نعم"، والأهمية كل الأهمية تنحصر حول "نعم" ذلك لأن فى يدها سعادته وشقاءه فإذا رحلت رحلت معها السعادة وضاع معها الحلم الجميل.

ثالثا الدلالات الصوتية لبعض الكلمات :

١- المريب :-

توحى كلمة "المريب" بتغير حال الطلل، ووصوله إلى أسوأ حالاته فى نفس مَنْ يقف عليه أو يمر به، وذلك لأن "نعم" قد تركته وارتحلت فانطفأ بريقه، وضاع أنسه وأضحى خرباً موحشاً.

٢- الطروب :-

لكلمة الطروب دلالة الحركة السريعة، وسرعة الهزّة، والتأثر بما يطرب[١]، وقلب ابن أبى ربيعة قد تحرك واهتز ودق عندما رأى حال الطلل السيئ الذى كانت تقطن فيه "نعم" وشعر بشوق لها، وحزن لفراقها، وألم لحال الطلل.

---

(١) المعجم الوجيز ص ٣٨٨ .

رابعاً التعريف والتنكير :

أ- التعريف :-

ورد اسم "نعم" فى القصيدة مراتٍ عدة، ولهذا العلم أهمية خاصة تنبع من كونه الدائرة الأساسية التى بنيت حولها القصيدة، فلأجلها وقف عمرعلى الأطلال محدثاً ومتذكراً وحزيناً، ولأجلها حزن الشاعر وطرب قلبه، ولأجلها فخر الشاعر بقومه واعتز بنفسه. وقد أورد ابن أبى ربيعة اسمها سبع مرات منها ست متتالية فى خمسة أبيات متتالية، ومرة بعد بيت فاصل يقول عمر :

لِـــنُعْمٍ إِذْ تُعَـــاوِدُهُ هُيَـــامٌ ... بِـهِ أَعْيَـا عَلَـى الْحَـاوِى الطَّبِيـبَ

لَعَمْـرُكَ إِنَّنِـى مِـن دَيْـن نُعْـمٍ ... لَكَـا لـدَّاعِى إِلَـى غَيْـرِ الْمُجِيبِ

وَمَـا نُعْـمٌ وَلَـوْ عُلِقْـتَ نُعْمَـا ... بِجَارِيَـةِ التَّـوَالِ وَلاَ مُثِيـبِ

وَمَـا تَجْـرِى بِقَـرْضِ الـوُدِّ نُعْـمٌ ... وَلاَ تَعِـدُ التَّـوَالَ إِلَىَّ قَرِيـبَ

إِذَا نُعْـمٌ نَـأَتْ بَعُـدَتْ وَتَعْـدُو ... عَـوَادٍ أَنْ تُـزَارَ مَـعَ الرَّقِيْـبِ

٦-١٠

والبيت السادس يقول فيه :

أُسَـمِّيهَا لِئَكْـتَمَ بِاسْـمِ نُعْـمٍ ... وَيُبْـدِى الْقَلْـبُ عَـنْ شَـخْصٍ حَبِيْـبِ

بالرغم من حب "نعم" للشاعر بحيث أضحى مرضاً عضالاً يستعصى على كل طبيب معالج، وبالرغم من أنها لم تأبه بحبه ولم تشعر به وقد خلف ذلك عنده حسرة وخيبة أمل وألماً، إلا أن ابن أبى ربيعة لا يملك إلا أن يذكر اسمها حباً وشوقاً وهياماً وعتاباً ولوماً وتصبراً.

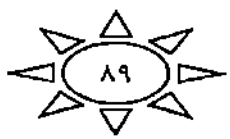

ولماذا كل هـذا ؟ لأن نُعْمَ هى الداء، والدواء، فإذا أقصته وأتعبته فهى وحدها التى تقدر على إسعاده، وراحة باله، إنه يأنس بذكر اسمها "نعم"، "نعـم"، "نعـم" فنعم هى الحب، وهى الأمل، وهى الألم، وهى الدواء، ولو كره عمر ذكرها لما ذكرها صراحة، وكان بمقدوره أن يتحدث بضمير الغائب "هى"، وبالرغم من أن اسم "نعم" ليس اسماً حقيقياً لمن يحب، إلا أن عمر أحبه وتلذذ بذكره لمجرد أنه رمز لمن يحب ويعشق فقط، وأنه نعيم لمن يحبها، ولكنه نعيم فى باطنه الشقاء.

ثانيا التنكير:-

لم يرد التنكير كثيراً فى قصيدة عمر، ولكن القصيدة لم تخل من التنكير فمثلاً تنكير كلمة "هيام" جاء للدلالة على اطلاق الهيام دون رسم حدود له، فهو هيام ممتد، غير مقيد مما يدل على تغلغل حب "نعم" فى قلبه، أما تنكير الشاعر لكلمتى "شـخص حبيـب" فجاء خوفاً من الوشاة والرقباء، فعمر لا يحب التعريف بمن يحب ويعضد ذلك أنه استعار اسم "نعم" اسماً لمحبوبته، وتنكير كلمة "صبا" دلالة على عدم اهتمام عمر بكنه الريح التى هبت على الطلل، ولكن الذى يعنيه هو أثرها الواضح على ديار "نعم".

كان هذا دور الكلمة فى النص، وأنا مدرك تماماً أن الكلمة وحدها لا تصنع شيئاً إنما هى لبنة فى البناء، وخلية من الخلايا، وإصبع فى اليد، والتركيب هو الأساس هو الكلمة، والجملة، وهو الأسلوب، ولكن علينا أن نقف عند الأفراد حتى يتمكن من الوقوف عند الجماعة، وهل الجماعة سوى أفراد تجمعوا وكذا التراكيب الفنية.

أولاً : مفهوم الجملة

"لا تستطيع لغة من اللغات أداء وظيفتها الاجتماعية بين أفراد مجتمعها دون الاعتماد على التراكيب اللغوية ، فالأصوات المفردة ، والكلمات المجردة ، لا تؤدى

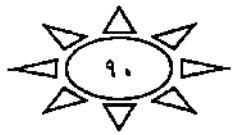

الغرض المنشود، والبلاغى حين يتوقف عند (الكلمة) باحثاً عن سر جمالها ، يتعامل معها وهى جزء من تركيب ، اصطبغت بصبغته، وتأثرت به".(١)

والجملة هى : كل كلام مفيد مستقل بنفسه، يقوم على تعلق اسم باسم، أو اسم بفعل، وتعلق حرف بهما كما يقول الجرجانى "فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه أو حالاً منه. أو تابعا له صفةً أو توكيداً أو عطف بيان أو بدلاً أو عطفاً بحرف أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثانى أو بأن يكون الأول يعمل فى الثانى عمل الفعل ، ويكون الثانى فى حكم الفاعل له أو المفعول .....

أما تعلق الاسم بالفعل . فبأن يكون فاعلاً له أو مفعولاً فيكون مصدراً قد انتصب به كقولك "ضربت ضرباً" ويقال له المفعول المطلق أو مفعولاً به كقولك "ضربتُ زيداً". أو ظرفاً مفعولاً فيه زماناً أو مكاناً كقولك "خرجت يوم الجمعة" و"وقفت أمامك" ، أو مفعولاً معه كقولنا "جاء البردُ والطيالسة". و"لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها " أو مفعولاً له كقولك "جئتك إكراماً لك . وفعلت ذلك إرادة الخير بك".(٢)

ويكمل الجرجانى حديثه عن تعلق الاسم بالفعل فيقول:

"أو بأن يكون منزلاً من الفعل منزلة المفعول. وذلك فى خبر كان وأخواتها" والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام مثل "طاب زيد نفساً". وحسن خلقاً ، وكرم أصلا ومثله الاسم المنتصب على الاستثناء كقولك:

"جاءنى القومُ إلا زيداً" لأنه من قبيل ما ينتصب عن تمام الكلام".(٣)

أما عن تعلق الحرف باسم أو الفعل فيقول الجرجانى. "وأما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب . أحدهما أن يتوسط بين الفعل والاسم مثل "صررت بزيد". والمفعول

---

(١) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام د. منير سلطان ١٦٣/١ .
(٢) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجانى ص ٤ تحقيق محمود شاكر مكتبة الخانجى القاهرة .
(٣) دلائل الإعجاز ص ٥.

معه وفعله "لو تركت الناقة وفصيلها" وإلا فى الاستثناء، والضرب الثانى .. ما يتعلق به العطف "جاءنى زيد وعمرو". والضرب الثالث .. تعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفى، والاستفهام، والشرط، والجزاء بما يدخل عليه، وذلك أن من شأن هذه المعانى أن تتناول ما يتناوله بالتقييد، وبعد أن يسند إلى شىء، معنى ذلك أنك إذا قلت "ما خرج زيد"، و "ما زيد خارج" لم يكن النفى الواقع بها متناولاً لخروج على الإطلاق بل الخروج واقع من زيد ومسندٌ إليه" (١)

وقد أشار ابن هشام إلى الجملة فقال "الكلام هو القول المفيد بالقصد" والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله لـ " قام زيد " والمبتدأ والخبر كـ "زيد قائم"، وما كان بمنزلة أحدها نحو "ضُرِبَ اللص" و "أقائم الزيدان"، "وكان زيدٌ قائماً"، "وظننته قائماً" (٢)

ويقسم ابن هشام الجملة إلى ثلاثة أقسام اسمية ، وفعلية ، وظرفية .

فالاسمية هى: التى صدرها اسم كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان عند من جوزه، وهو الأخفش والكوفيون .

والفعلية هى: التى صدرها فعل كقام زيد، وضُرب اللص، وكان زيد قائماً وظننته قائماً، ويقوم زيد ، وقم .

والظرفية هى: المصدَّرة بظرف أو مجرور نحو: أعندك زيد أو فى الدار زيد إذا قدرت زيداً فاعلاً بالظرف أو الجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ فخبر عنه بهما ومثل الزمخشرى لذلك بفى الدارِ من قولك "زيد فى الدار" وهو مبنى على الاستقرار المقدر فعل لا اسم، وعلى أنه حُذِفَ وحده، وانتقل الضمير إلى الظرف بعد أن عمل فيه" (٣)

---

(١) السابق ص٦

(٢) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - ابن هشام الأنصارى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة العصرية صيدا بيروت جـ ٢ ص ٣٧٤ .

(٣) السابق ص ٣٧٦ .

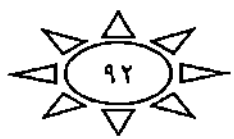

حالتاها (١) الجملة المستفلة :

وهى المعترضة والحوارية. أما عن المعترضة فهى(لإفادة تقويم الكلام)ولها مواضع :

(أ) بين الفعل ومرفوعه.

(ب) بين المبتدأ وخبره .

(جـ) بين الشرط وجوابه.

(د) بين القسم وجوابه .

(هـ) بين الموصوف وصفته.

(و) بين الموصول وصلته .

(ز) بين المتضايفين .

(ح) بين الحرف وتوكيده اللفظى.

(ط) بين سوف ومدخولها". (١)

ومن أمثلة الجملة المعترضة قول عمر:

أَنْ أَرْجِ رِحْلَتَكَ الْغَدَاةَ إِلَى غَدٍ ... وَلِوَاءُ يَوْمٍ - إِنْ نَوَيْتَ - يَسِيرُ

٧/١٦

وأما عن الحوارية فهى الجملة المجيب بها فى حوار قصصى أو المردود بها على استفهام فى كلام متصل مثل قوله تعالى

(قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا

---

(١) الموسوعة النحوية الصرفية . د يوسف أحمد المطوع ص ٥٤٩/٢ دار الكتب الإسلامية .

فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ)

(يوسف/٩٠-٩٧)

وقد احتل الشعر القصصى مساحة واسعة فى ديوان عمر، إذ وردت الجملة الحوارية فى اثنتين وتسعين قصيدة من شعره القصصى، وقد وظف عمر جملته الحوارية فى تنمية الحوار، وتحريك الحدث داخل قصصه الشعرى بينه وبين محبوباته أو بينه وبين أصدقائه .... إلخ. وسوف أرجئ دراسة الجملة الحوارية إلى الفصل الرابع "الأسلوب" لأن الجملة الحوارية من أهم خصائص الأسلوب عند عمر.

(٢) الجملة المعطوفة على غيرها :

(١) جملة جواب الشرط: وذلك كقول عمر:

إِنْ يَنْسَنَا الْمَوْتُ وَيُؤْذَنْ لَنَا ... نَلْقَكَ إِنْ عُمِّرْتَ بِالْمَوْسِمِ

٦/٧٩

(٢) جملة جواب القسم: مثل قوله:

وَاللهِ مَا أَحْبَبْتُ حُبَّكِ أَيِّماً ... وَلاَ ذَاتِ بَعْلٍ يَا هُنَيْدَةُ فَاعْلَمِي

٧٤ب/٤

وأما عن الجملة الاسمية فى شعر عمر فقد اعتمد فى شعره على الجملة الاسمية ليقرر حقائق وقرارات نابعة من إحساسه الشخصى، وشعوره الذاتى نحو محبوباته والجملة الاسمية تتضمن الثبات والاستقرار؛ ولذلك تساعده فى قراراته وتصريحاته التى يطلقها ويعتقد صحتها .

يقول عمر :-

قَلِيلُ رِضَاكِ يُحْمَدُ عِنْدَ نَفْسِى وَسُخْطُكِ عِنْدَنا حَدَثٌ عَظِيمُ

١٣/١٠٧

يصدر عمر حكماً خاصاً به نحو محبوبته، معتمداً فيه على شعوره نحوها، وهو أن محبوبته عندما تمنحه قليلاً من حبها ، ووصالها ، فإنه قانع بذلك .

أما إذا سخطت عليه فإن ذلك حدث عظيم الخطب على نفسه ، وقد عبر ابن أبى ربيعة عن ذلك المعنى عن طريق الجملة الاسمية "قليل رضاك يحمد عند نفسى" و"سخطك عندنا حدث عظيم".

ويصف عمر شعوره تجاه محبوبته معتمداً على الجملة الاسمية فيقول:

هِىَ دَائِى ، وَهِىَ الدَّوَاءُ لِدَائِى لَوْ أُدَاوَى بِرِيقِهَا لَشَفَانِى

٨/١٣٢

يصرح عمر معتمداً على الجملة الاسمية "هى دائى" أن محبوبته هى مرضه الذى يعانى آلامه وحيداً ، ويقاسى أوجاعه ساهراً أرقاً ، ويقرر الشاعر أن محبوبته فى الوقت ذاته هى شفاؤه من هذا الداء المضنى .

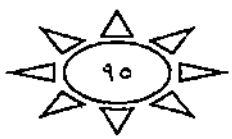

وقد اتكأ عمر على التقديم والتأخير فى الجملة الاسمية ليصدر آراءه فى محبوباته فمثلاً قدم الجار والمجرور "شبه الجملة" على المبتدأ فى قوله:-

لَهـــا وَجْـــهٌ يُـــضِيء كَـــضَوْءِ بَـــدْرٍ عَتِيـــقُ اللَّـــوْنِ باشـــرَهُ النَّعِـــيمُ

١٠/١٠٧

لتقديم الخبر "شبه الجملة" "لها" على المبتدأ "وجه" دور مهم فى إبراز تلك المحبوبة لوجه له مزية خاصة، وجه غير معتاد بين النساء، إنه وجه متلألئ، يضئ كضوء البدر فى السماء . وهو وجه يبدو عليه آثار الغنى والترف. وقد أصدر عمر هذا التصريح معتمداً على الجملة الاسمية خاضعاً لمشاعره تجاه محبوبته ، وللتقديم هنا دلالته ذلك لأنه عمل على تحقيق الخصوصية للمحبوبة . فالإضاءة لوجهها خاصة دون غيره من الوجوه وغيرها من الفتيات. وفى بيت آخر يقول عمر:

فِـيهِنَّ هنـدٌ ، وهِنـدٌ لا شَـبِيهَ لهـا مِمَّـنْ أَقَـامَ مِـنَ الجِـيرَانِ أو سَـارَا

٣/١٠

اعتمد عمر على التقديم والتأخير خلال الجملة الاسمية كى يظهر رأيه فى محبوبته "هند" حيث قدم شبه الجملة "فيهن" الخبر على المبتدأ "هند" ليبين أن مجموعة النساء اللاتى أمامه تتضمن محبوبته "هند" . وهو مهتم بهن لوجودها معهن ولكن هند - بالطبع تختلف عنهم . وهذا ما تحدده الجملة الاسمية الثانية "هند لا شبيه لها" لأن هند تختلف عن كل النساء القابعات أو المهاجرات إلى مكان آخر.

وعن الجملة الفعلية فى شعر عمر :-

سأدرس الجملة الفعلية من خلال حركة الأفعال بمعنى أنه فى بعض الأحيان يأتى الفعل المضارع ليرتد إلى الوراء ويعطى دلالة المضارع فى الماضى أو يتحرك الفعل الماضى إلى المضارع ، والمحدد لكل ذلك هو السياق بكلماته ودلالاته ، وتراكيبه .

أولاً : ارتداد الفعل المضارع إلى زمن الماضى :

قد يرتد الفعل المضارع ليدل على المضارعة ، ولكن فى الزمن الماضى كقول عمر :

وَجَلَتْ عَشِيَّةَ بَطْنِ مَكَّةَ إِذْ بَدَتْ وَجْهَاً يُضِيءُ بَيَاضُهُ الأَسْتَارَا

٨/١٥

يوضح الفعل الماضى "جلت" زمن البيت كله فالمحبوبة ظهرت بجمال وجهها الناصع المنير وأنارت "بطن مكة". وكذلك الفعل "بدت". أما الفعل يضئ فهو فعل مضارع لكنه دل على الزمن الفائت الماضى، والذى يعضد ذلك فعلا الزمن الماضى السابقان فى أول البيت "جلت". و"بدت" فالوجه يضئ الظلمات، وينير الليل حالك السواد ولكن كل ذلك فى خضم الزمن الماضى عندما "جلت المحبوبة" و "بدت" .

ثانياً : تحرك الفعل الماضى إلى المضارع:

يقول عمر :-

يَطُوفُ بِالْبَيْتِ مَا يُفَارِقُهُ قَدْ شَفَّهُ حُبُّهَا فَلَمْ يَرُمْهُ

٦/١٠١

حدد الفعل "يطوف" زمن الطواف فى الحاضر لكن الفعل "شفه" فعل ماض تحرك للدلالة على الزمن الحاضر، فالحب يشف عمر خلال طوافه بالبيت ومن هنا فقد تحرك الفعل الماضى للدلالة على الزمن الحاضر لأنه مشدود إلى المضارع من خلال الفعل "يطوف".

ثالثاً الجملة الشعرية:

أشار د. محمد حماسة عبد اللطيف إلى أن:

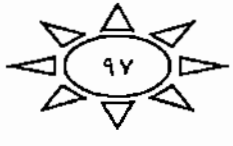

"الجملة الشعرية تختلف عن جملة النثر، لأن الجملة الشعرية لا تلتزم- أحيانا بأن تكون القافية نهاية للبيت والجملة بل وتتعداها إلى الأبيات التالية يقول:

"فأساس التقسيم فى الشعر مختلف عنه فى النثر. النثر مقسم إلى جمل، والشعر مقسم إلى أبيات، الجملة هى وحدة الكلام، والبيت هو وحدة الشعر، نظام النثر يحسن فيه الوقف على آخر الجملة، ونظام الشعر يلزم فيه الوقف على نهاية البيت(=القافية) الوقف على نهاية الجملة قيمة دلالية على اكتمال معنى الجملة، والوقف على قافية البيت قيمة شعرية تدل على اكتمال دورة وحدة الإيقاع (= البيت) والبيت فى الشعر وحده إيقاع للقصيدة، والجملة فى النثر وحدها دلالية للكلام".(١)

ويتابع د. حماسة حديثه موضحاً الفرق بين الجملة الشعرية . وجملة النثر فيقول :

"ليس معنى هذا أن الشعر يلغى نظام الجملة، فهذا مما لا يتصور بحال، لأن إلغاء نظام الجملة إلغاء للكلام عامة ولكن الجملة فيه لا يكون لها ذلك الاستقلال الصارم الذى تحظى به فى النثر، وتتوزع أجزاؤها فى الشعر على اكثر من بيت واحد أحياناً".(٢)

وقد وردت الجملة الشعرية عند عمر ثمانى عشرة مرة ، واستطاع ابن أبى ربيعة أن يطلق العنان لخياله ليتمم المعنى الذى بدأه، ويكمل الصورة التى رسمها، فيعلق المعنى الذى بدأ به بيته الأول، ويتممه فى البيت الثانى، وفى بعض الأشعار لا يتم المعنى إلا بعد عدة أبيات.

---

(١) الجملة فى الشعر العربى د.محمد حماسة عبد اللطيف مكتبة الخانجى القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٠ م ص ٢٧.
(٢) السابق ص ٢٨.

يقول عمر :

مَـا ظَبْيَـةٌ مَـنْ ظِبَـاءِ الأَرَا ... كِ تَقْـرُو رِمَـاتَ الرُّبَـا غَاشِـيَا

بِأَحْسَنَ مِنهَـا غَـدَاةَ العَمِيـمِ ... إِذَا أَنْـدَتِ الخَـدَّ والحَاجِبَـا

١/٢٦٩

ومن أمثلة الجملة الشعرية التى يحلق فيها المعنى بعدة أبيات قوله :

لاَ والَّـذِى بَعَـثَ النَّبِـىَّ مُحَمَّـداً ... بِـالنُّورِ والإِسْـلاَمِ دِيـنِ القَـيِّمِ

وبِمَـا أَهَـلَّ بِـهِ الْحَجِـيْجُ كَثَّـرُوا ... عِنْـدَ المَقَـامِ وَرُكْـنِ بَيْـتِ الْمُحْـرِمِ

وَالْمَـسْجِدِ الأَقْـصَى الْمُبَـارَكِ حَوْلَـهُ ... وَالطُّـوْرِ حَلْفَـةَ صَـادِقٍ لَـمْ يَـأْثَمِ

مَـا حُنْـتُ عَهْـدَكِ يَـا عُثَـيْمُ ولاَ هَفَـا ... قَلْبِـى إِلَـى وَصْـلٍ لِغَـيْرِكِ فَـاعْلَمِى

١٤-١١/٩١

واضح أن المعنى لم يتم إلا بعد بيتين واردين بعد البيت الأول.

أولاً : الجملة الخبرية والجملة الخبرية الفنية:

مقدمة:

كان لعمر رصيد ضخم من الجمل الخبرية الفنية من الأمر، إلى النداء، إلى الشرط إلى الاستفهام ، إلى القسم، إلى النفى، إلى النهى، إلى التعجب.

وأود أن أتوقف لألقى الضوء على هذه المصطلحات البلاغية التى سأرددها كثيراً موافقاً فى ذلك ما اجتهد فيه د.منير سلطان، فمنهجه أن يقتل القديم درساً، ثم يحدد فى نسيج هذا القديم ، وما التجديد عنده إلاَّ اجتهاد، وكل اجتهد قابل للقبول أو الرفض لكنه يملك الحق فى أن يعبر عن نفسه، ولا سيما أن هذا الاجتهاد صادر عن باحث ، أفنى

عمره فى البحث البلاغى، فإن لم نقبل اجتهاده فلا أقل من أن نتأمله بصدق. يُقسِّمُ د.منير سلطان الجملة التى تصدر عن المتكلم إلى قسمين هما "أن تكون الجملة خبرية مباشرة (عادية أو منتقاه) سليمة البناء، صحيحة التراكيب، محددة المعنى، وإما أن تكون خبرية فنية، خبرية لأنها تنقل فكرة، ومضموناً، تقدمه إلى المخاطب، وفنية لأنها لا تسلك الطريق المباشر بل تتخذ طريق الفن، لما فيه من خيال، ووجدان، وثقافة،وخبرة.[1]

ويتابع د.منير حديثه عن الخبر المباشر، والخبر الفنى ويشير إلى أن الخبر المباشر يتطلب تصديقه مطابقة الواقع فإن طابقه كان الخبر صادقاً وقائله صادق وإن خالفه فكلاهما كاذب، لكن الأمر يختلف بالنسبة للخبر الفنى الذى لا يحتاج إلى صدق أو كذب يقول :"ومن هنا لا نحتاج إلى تصديق أو تكذيب بل نحتاج إلى معايشة وجدانية لنشارك الفنان فى إبداعه.

هذا ما دعانى إلى تقسيم الجمل بلاغياً إلى: جملة خبرية مباشرة، وأخرى خبرية فنية [2]ثم يورد د.منير نصاً من كتاب الإيضاح للقزوينى يتحدث فيه عن مطابقة الخبر للواقع أو عدم مطابقته[3]، ثم يعلق على الكلام قائلاً:

" إن مشكلة تصديق الخبر، وتكذيبه ارتبط بقضية الدفاع عن إعجاز القرآن والقرآن فى مجمله "خبر من السماء". ومن التصديق كان المسلمون الأوائل ومن التكذيب كان الكافرون، فالمؤمن مصدق معتقد، والكافر مكذب غير معتقد والذي يخفى إيمانه مكذب معتقد، يكذب فى الباطن ويصدَّق فى الظاهر.

ثانياً: إن الفن لا يخضع لقانون التصديق

والتكذيب بل يخضع لقانون الذوق الذى يقبل ويرفض، يقبل ما أمتع، ويرفض ما زُيِّف، الفن لا ينقل إلينا ما نجهله،ولكن يصور لنا ما نعرفه بطريقة لا نعرفها.

---

(١)بديع التراكيب فى شعر أبى تمام د. منير سلطان ١٨٥/١

(٢) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام د.منير سلطان ص ١٨٦/١ .

(٣) الإيضاح للقزوينى ص ١٨،١٩ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ ، ١٩٨٥.

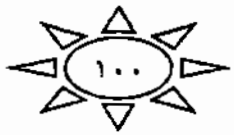

ثالثاً: إن المطابقة بالواقع تنطبق تماماً على الجملة الخبرية المباشرة.

من هذا المنطلق ارفض تعريف البلاغيين المتأخرين للجملة الخبرية بأنها "الجملة التى تحتوى على معلومة تحتمل الصدق أو الكذب لذاتها بغض النظر عن قائلها" فليس عندنا سوى جملتين :

أحدهما خبرية مباشرة صادقة أو كاذبة، والأخرى خبرية فنية ممتعة أو زائفة.(١)

ويرى د.منير أننا "لو أعدنا النظر لأرحنا أنفسنا من مسمى هذه الجملة الإنشائية لأن الجملة الإنشائية خبرية فى مضمونها ، فالاستفهام خبر عن المتكلم يطلب فهم شئ بعينه ، والأمر خبر عن الآمر بفعل شئ ، والنهى : خبر بعدم فعل شىء ، والنفى خبر بأنه لم يحدث شئ ، والتمنى خبر عن الأمل فى شىء ... إلخ"(٢)

أولاً: جملة الأمر

وقد أشار صاحب كتاب شذور الذهب إلى الأمر فقال:

"وعلامة الأمر مجموع شيئين لابد منهما، أحدهما أن يدل على الطلب، والثانى:

أن يقبل ياء المخاطبة كقوله تعالى :

(فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا)

(مريم/٢٦)

ومنه "هات" بكسر التاء، و"تعالَ" بفتح اللام خلافاً للزمخشرى فى زعمه أنهما من أسماء الأفعال، ولنا أنهما يدلان على الطلب ويقبلان الياء، تقول: "هاتِى" بكسر اللام و"تعالَى" بفتح اللام.(٣)

---

(١)بديع التراكيب فى شعر أبى تمام د.منير سلطان ١٨٧/١.

(٢) السابق ١٩٣/١.

(٣) شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ومعه كتاب منتهى الأرب ابن هشام الأنصارى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٢٢.

وعن علامة الأمر يقول عباس حسن:وأما علامة الأمر فهى أن يدل بصيغته على طلب شيء، مع قبوله ياء المخاطبة فلابد من الأمرين معاً، أى: أن علامته مزدوجة مثل: ساعدْ من يحتاج المساعدة، ..... ، وتكلمى .....واحرصى". (١)

ثانياً : خروج الأمر عن مقتضى الظاهر :-

بدايةً أقول إن جملة الأمر عند عمر هى الأشعار التى ورد فيها أمر، وقد وردت جملة الأمر عند عمر فى ستةٍ وسبعين بيتاً .

وجملة الأمر التى أدرسها فى شعر عمر تختص بـ "أمر خارج عن مقتضى الظاهر، أمر حقق عدولاً عن معناه التنفيذى وانزياحاً عن مفهومه الملزم ، بالرغم من أنه يستخدم أدوات الأمر المباشر"(٢).

وقد وظف عمر الأمر الخارج عن مقتضى الظاهر فخرج به إلى نطاقٍ فنى رحبٍ بحيث يكون الغرض من الأمر الرجاء أو التعجب أو الاستنكار أو غير ذلك فمثلاً يقول عمر :-

أَلاَ قُلْ لِهِنْدٍ اخْرُجِى وَتَأَنِّى وَلاَ تَقْتُلِينِى لاَ يَحِلُّ لَكُمْ دَمِى

٧/ب٧٤

يعاتب عمر "هنداً " طالباً منها أن تتحرج من هجره وصده وتعلم أن ذلك بمثابة الإثم؛ لأنها تقتله قتلاً، وقد حرم الله -جل وعلا- قتل المسلم للمسلم. وهنا خرج الأمر إلى العتاب والرجاء، عتاب لهجرها إياه، ورجاء بالوصل والأمل فى الوداد.

ويخرج الأمر عن مقتضى الظاهر إلى الاستغاثة فى قول عمر :

ارْحَمِينَا يَا نُعْمُ مِمَّا لَقِينَا وَصِلِينَا فَأَنْعِمى أَوْ دَعِينَا

---

(١) النحو الوافى عباس حسن ٦٤/١ .
(٢) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام د.منير سلطان ٣٠٦/١ .

١/١٤٠

يستغيث ابن أبى ربيعة بحبيبته "نُعْم" أن ترحمه مما يلاقى من آلام الشوق ويكابد من عذاب الفراق،ويرجو عمر محبوبته أن تصله وإنْ لم تفعل فلتتركه وشأنه.

فالأمر هنا غرضه استغاثة أمل ورجاء. وقد يخرج الأمر إلى التحفيز والحث والتشجيع وذلك فى قوله :-

حُلِّى إزَارَكِ سُكْنَى غَيْرَ صَاغِرَةٍ إنْ شِئْتِ وَاجْزِى مُحِبّاً بالّذى سَارَا

١٩/١٠

يحفز عمر "هنداً" ويحثها ويشجعها أن تفعل أمراً يحبه ويهواه، وذلك عن طريق الأمر فى "حلى". و"اجزى". ويرجو عمر محبوبته أن تتفهم موقفه، وتسمعه فيقول:

أنْتِ الأمِيرَةُ فاسْمَعِى لِمَقَالَتِى وَتَفَهَّمِى مِنْ بَعْضِ مَا لَمْ تَفْهَمِى

٢٣/٩١

خرج الأمر فى البيت إلى الرجاء،فالشاعر يرجو محبوبته أن تستمع لحديثه وتفهم الأمر فهماً صحيحاً.

توظيف جملة الأمر فنياً :-

"التوظيف الفنى فى الأساس يعنى :

اختيار كلمة دون غيرها أو جملةٍ دون غيرها ، ثم وضعها فى المكان الذى يحتاج إليهماً فنياً، دون غيره، الكلمة المناسبة فى المكان المناسب، والجملة المناسبة فى المكان المناسب، ثم يأتى بعد ذلك تشكيل الجملة فى صورة تشبيهية أو مجازية...إلخ ، وقد تأتى الجملة بلا صورة فنية، كأن تأتى موقعة (أى محتوية على إيقاع) أو غير موقعة، فليست هذه العوامل شرطاً فى تحقيق الجمال، لأنه قد تحقق سلفاً فى (الكلمة

المناسبة فى المكان المناسب) بقدر ما هى عوامل إضافية تُضْفى جمالاً على الجمال والبلاغة كل لا يتجزأ". (١)

أولاً : المجاز فى جملة الأمر :-

المجاز هو : مُثِيرٌ تحول فى نظر الفنان إلى استجابة . ومثير تقمص الاستجابة مثير أثار الفنان فجعله يراه فى شكل آخر استجابة لانفعاله بهذا المثير:

"كَلَّمت أسداً" أى كلمت رجلاً أثارتنى شجاعته. وأعجبنى إقدامه فانقلب فى عينى أسداً، والجامع أمر يخص الفنان، ولا دخل لحكماء اللغة والنحو بذلك فى التشبيه يظل المثير بصفاته ثم تتولد الاستجابة، وفى المجاز يتحول المثير إلى استجابة. (٢)

"وهناك استجابات مختلفة فهناك" الاستجابة السطحية، والاستجابة التقليدية، والاستجابة المبتكرة، والاستجابة السطحية هى تلك الاستجابة المفرغة من الروح والجمال . تلك التى استهلكتها الأقلام وتناولتها الألسنة وصارت من معجم ألفاظنا مثل "كلمت أسداً ". "سلمت على زهرة..... الخ".

وهناك الاستجابة التقليدية، هى جميلة، ولكنها متداولة بين الأدباء والشعراء متوافرة فى الدووانين، تكاد تخفت أضواؤها رتضيع بهجتها مثل :

"بكيت دماً". و"عَنَّت لنا ظبية" . و"جفانى مرقدى" ... لا جهد للشاعر فيها سوى نقلها من مخزونه الثقافى للتراث دون أى تدخل بتحوير أو تغيير يعدل من شعورنا ناحيتها . وهناك الاستجابة البديعة وتلك التى توصل إليها الفنان وابتكرها وزودها بروحه، وسكب عليها من رحيقه، وعجنها بذوقه، وجسدها بخياله وحركها بفنه". (٣)

---

(١) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام ٢٠٨/١ ، د.منير سلطان.
(٢) السابق ٢١١/١.
(٣) بديع التراكيب فى شعر ابى تمام ٢٤١/١ وما بعدها .

" المحاز الفنى دقة فى اختيار المثير، وإبداع فى اختيار الاستجابة ، ليتحقق التناسب. ويتم الغرض من المجاز، حتى يستقر فى سياق يسمح بحرية الحركة فيُخرج المجاز كل طاقاته.فالمجاز المناسب فى المكان المناسب هو الإبداع الذى يسعى الفنان إلى تحقيقه".(١)

ولقد اعتمد عمر على المجاز فى تصوير مشاعره ، وأحاسيسه ، وما يعانيه من آلام الحب ، ولوعة الشوق . وأحزان الهجر ومن أمثلة ذلك قوله :-

فُكِّـــى أَسِـــيراً يَـــا عُثَـــيْمَ فَإِنَّـــهُ حَلَـــطَ ٱلْحَيَـــاءَ بِعِفَّـــةٍ وَتَكَـــرُّمِ

١٥/٩١

أحس عمر بحب متأجج فى قلبه تجاه "عثيمة" – محبوبته – وهذا هو المثير الذى حرك مشاعره، ولذا أتته الاستجابة السريعة فصَّورها من خلال الجملة الفعلية المكونة من فعل الأمر ومفعوله "فكى أسيراً" حيث أصبح حب عثيمة أسراً لعمر، وقيداً له واحتباساً لحركته وحريته. وقد تحول المثير- حب عثيمة - إلى استجابة "الأسر" فأصبح الحب أسراً لعمر لا يطيق قيده، ولا يقدر على تحمل آلامه؛ وذلك يطلب من محبوبته أن تفك أسره بكلمة حب أو نظرة عشق أو تعطف بلقاء .

ويصور عمر أحاسيسه تجاه "هند" فى بيت آخر فيقول:

أَقِـــلَّ المَـــلاَمَ يَـــا عَتِيـــقُ؛ فَـــإِنَّنِى بِهِنْـــدٍ طَـــوالَ الـــدَّهْرِ حَـــرَّانُ هَـــائِمُ

فَقَـــضٌ مَلاَمِـــى وَاطْلُـــبِ الطِّـــبَّ إِنَّنِـــى أُسِـــرُّ جَـــوًى مِـــنْ حُبِّهَـــا فَهْـــوَ رَازِمُ ١/٧٨

شعر ابن أبى ربيعة بحب جارف متقدٍ فى أوصال نفسه، عندما لامه صاحبه ابن أبى عتيق على حب "هند"، وهذا هو المثير الذى هز أحاسيسه فجاءت الاستجابة

---

(١) بديع التراكيب فى شعر ابى تمام ٣٨٧/١ .

السريعة بأن حبها أضحى مرضاً عِضالاً يصعب شفاؤه، ويستحيل دواؤه، وهنا تقمص المثير لاستجابة فتحول الحب إلى مرض مؤلم موجع جاثم على قلبه، ومن هنا جاء عمر بالجملة الفعلية "اطلب الطب" – الاستجابة – ليظهر آلامه وليصور ما يشعر به عمر من حب نحوه فالحب أمرضه ، وجعله معتلاً يكابد آلام المرض، ويشعر بأحزان شديدة لذا يجب على ابن أبي عتيق أن يكف عن اللوم "فَقَضَّ مَلاَمِي" وأن يبحث عن شفاء سريع لعمر من مرضه. (١)

ثانياً الكناية :

استطاع عمر من خلال استخدامه للكناية أن يظهر مدى حبه لمحبوباته، وتعلقه بهن، وإبراز ما يحدث له إذ هجرنه، وبعدن عنه، ومن الأمثلة على ذلك قوله :

قَـدَرْتِ عَلَـىَ نَفْعِـي وَضُـرِّي فَـأَجْمِلِي وَفُكِّي بِمَنٍّ مِنْ إِسَارِكُمُ رَهْنِي ٦/١٣٥

سيطرت "نعم" على أحاسيس عمر، وتملكت قلبه، وأصبحت مسيطرة على زمام أمره، قادرة على نفعه وضره، ولذلك يوجه إليها أمراً "فأجملي" راجياً منها أن تتقيَ الله فيه ، وتحسن الصنع معه، والشطرة الأولى كناية عن شدة حب الشاعر لمحبوبته .

ويطلب ابن أبي ربيعة من محبوبته أن تفكه، وتطلق قيده، لأنه رهين حبها، أسير ودادها، وهذه كناية عن عشقه لها، وضعفه أمامها، وتهافته عليها .

وفي بيت آخر تعبر الكناية عن حب ذات الخال لعمر فيقول على لسانها:

وَقَـــولاَ لَـــهُ : إِنْ تَجْـــنِ دَنْـــياً أَعُـــدُّهُ مِـنَ الْعُـرْفِ إِنْ رَامَ الْوُشَـاةُ التَكَلُّفَـا ١٥/٨٠

يبدو أن "ذات الخال" تود أن تصلح ما فسد من صلات بينها وبين عمر فترسل له معبرةً عن مدى حبها له قائلة : مهما اقترفت من آثام وأخطأت فإثمك وخطأك أمر عادي في عرفي مهما حاول الوشاة إفساد حبنا وقطع علاقتنا الطيبة .

---

(١) من أمثلة المجاز في جملة الأمر ٤/٤ ، ٥/٧٣ ، ٧٤ب/١ ، ٧٤ب/٢ ، ١/٩٠ وغيرها .

وفى قوله على لسانها "إن جَنَن ذنبا أعده من العرف" كناية عن حب ذات الخال لعمر، وإظهارها لرغبتها الصادقة فى إبراز الحب به، حتى يتفهم موقفها ويصلها.(١)

التشبيه فى جملة الأمر :-

"التشبيه الفنى هو "مثير" أثار الفنان، حين رآه أو تذكره أو تصوره، وَلَّدَ عنده "استجابة" أى: حالة ربط بين هذا المثير وشيء آخر وجد بينهما تقارباً أو تشابهاً وهذا التقارب أوالتشابه ذاتى بحت، تولد فى ذات الفنان، ولا علاقه له بالتشبيه التعليمى لأن الفنان يصور لنا وَقْعَ المشبه الذى رآه أو تذكره أو تخيله، فى نفسه، ورؤيته له وإحساسه له ، وهنا لا نطالبه بإثبات صفة مشتركة بين المشبه والمشبه به تكون شائعة ومعروفة فى الأُلْفِ والعادة واللغة والمعجم،ويكفى أن يدرك هو تشابها ما بين المشبه والمشبه به ولا نفرض عليه حكمنا الذى عادة ما يكون مخطئاً فإذا قال القنان "هو كالأسد" فلابد أنه يقصد أنه شجاع كالأسد، وما يدرينا؟ أليس من الممكن أن يقصد أنه كالأسد فى التوحش، كالأسد فى الافتراس ، أو كالأسد فى الحيوانية أو..... إلخ.هجاءً أو تعريضاً أو سخريةً .

إن استجابات الفنان للمثير الواحد تختلف باختلاف حالاته النفسية وثقافته والإطار الحضارى العام الذى يعيشه، وطبيعة الموضوع الذى يعالجه. والصورة التشبيهية لها ركنان "المشبه والمشبه به"، أى "المثير والاستجابة" والجامع صفة مشتركة من وجهة نظر الفنان نستشفها من السياق ولا نحكم عليها من خارج النص ، ولها طرفان "الأداة والوجه". ولا تشبيه بلا ركنين ويكون تشبيهاً بلا أداة أو بلا وجه أو بغيرها معاً.(٢) وللتوضيح والتفصيل المثير هو" العامل الذى يستوقف الفنان ، ويحرك أجهزته

---

(١) من أمثلة الكناية فى جملة الأمر ٩/١٤ ، ١/١٤٠ ، ٢٢/١٥ ، ٦/٨٠ ، وغيرها من الأمثلة
(٢)بديع التراكيب فى شعر أبى تمام د.منير سلطان ٢٠٩/١،٢٠٨ .

الذهنية والوجدانية والعقلية ... إلخ ويدفعه إلى استحضار ما يوافق ويتناغم مع هذا المثير شكلاً ومضموناً أو هما معاً من وجهة نظره هو. هذا الذى أسميه "استجابة". يرى الفنان فتاة فتقفز إلى ذهنه صورة الموناليزا مثلا، وثانٍ يستحضر صورة ملك سابح فى الفضاء وثالث يستحضر رائحة عطر جميل، المثير واحد والاستجابات مختلفة باختلاف الذوات المستقبلة".(١)

أما الاستجابة : فهى التفاعل مع المثير حتى تتولد صداها فى نفس الفنان .

والسؤال : هل الاستجابة لأى مثير تكون مطلقة أم مقيدة بطبيعة العمل الفنى؟ أرى أنها مقيدة بطبيعة العمل الفنى. فالموضوع الذى يتناولُه يفتح عليه وابلاً من الأشياء المتصلة به "معنويات وماديات". فيصنع منها الفنان صوراً بأن يستجيب لها استجابة متصلة بطبيعة العمل الفنى مدحاً أو رثاءً أو غزلاً ..

أما إذا أعد الفنان نفسه "ذهنه وخياله وثقافته ورؤيته وتجاربه" لعمل قصيدة مدح مثلاً أو غزل . فالفكرة العامة التى تسيطر عليه والخطة التى سينفذ لها قصيدته هما اللذان يستجيبان للمثيرات ويشكلان الاستجابات وعندئذ تكون المثيرات من المخزون مما يحيط به. ومن طبيعة الموضوع . وكلها تصب فى جسد العمل الفنى شكلاً ومضموناً" (٢)

أتفق مع أستاذى الدكتور منير سلطان فى وجهة نظره البلاغية القائمة على أن التشبيه قائم على ركنين "المثير والاستجابة" لأنها تقرر خصوصية التشبيه وذاتيته عند المبدعين فلكل مبدع طريقته فى الإثارة ولكل فنان طبيعته فى الاستجابة التى تختلف حسب ثقافته ورؤيته وشعوره وأفكاره. ومثلما اعتمد عمر على المجاز والكناية فى إبراز مشاعره تجاه محبوباته اتكأ على التشبيه للغرض نفسه .

---

(١) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام ٢٣٦/١ .
(٢) السابق ص٢٣٧/١ .

دَعْ ذِكْرَهَا وَتَنَاسَ الحُبَّ تَلْقَ بِهِ وَاصْبِرْ وَكُنْ كَصَرِيعٍ قَامَ مِنْ سَكَرِ

٩/٨

تنصح قريبة عمر بأن يتخلى عن حب من يحب ، وأن يصبر حتى يتسنى له النسيان . صحيح أنه سيكون مثل شارب الخمر الذى لعبت الخمر بعقله لكنه سينسى حتماً وتنتهى التجربة.

والتشبيه فى قوله: "كصريع قام من سكر" جاء بعد فعل الأمر "كن" ليدل على مدى الصعوبة التى يكابدها عمر فى محاولته نسيان المحبوبة فسيصبح الشاعر مثل محتسى الخمر الذى ظل ليلة محتسياً للخمر ثم قام يترنح كأنه يتراقص ، وتلتف رجلاه حول بعضها ، تنتابه حالات مزاجية متباينة فهو ضاحك باكٍ ، سعيد ، حزين فى آن واحد والتشبيه يوضح تعمق الحب داخل قلبه وتمكنه من نفسه.

ويقول عمر فى بيت آخر :

أَنْتِ الأَمِيرَةُ فَاسْمَعِي لمَقَالَتِي وَتَفَهَّمِي مِنْ بَعْضِ مَا لَمْ تَفْهَمِي

٢٤/٩١

يوضح التشبيه البليغ فى قوله: "أنت الأميرة" مدى تحكم المحبوبة، وسيطرتها عليه، حيث حذف الشاعر الأداة كما يظهر حب الشاعر لها، ورغبته القوية فى إرضائها فهى ملكة متوجة، مملكتها قلب الشاعر وروحه، وجسده، وعليها

أن تأمر فتطاع، وأن تفعل ما يحلو لها ، ولذلك يرجوها عمر أن تسمع لكلامه وتفهم الأمر جيداً.(١)

ثانياً جملة النداء :

النداء هو : صوت يهتف به المنادي لمن يريد منه أن يقترب أو يستمع . أو يدرك ما لدى المنادي من عمل ، ويترجم رغبة أو يصور شعوراً أو يشكل موقفاً .

ويتكون هذا الصوت من حروف النداء التى تتفاوت مداً، وقصراً يأتى بعدها المقصود بالنداء، وقد تحذف، ويكتفى بنداء المنادى مجرداً من حرف النداء، ولكنه يأتى محملاً بصوت النداء الممدود أو المقصور، وجملة النداء الفنية هى التى ترقى بمستواها ومقاصدها عن جملة النداء العملى اليومى، ومن النداء تكون الاستغاثة ، ويكون التعجب وتكون الندبة، دوائر منبثقة من الدائرة الكبرى التى تحلق فى سماء الفن بجناحين أحدهما لغوى ، وضع ضوابطه اللغويون ، وآخر فنى من إبداع الفنان.(٢)

وأشهر حروف النداء ثمانية: الهمزة المفتوحة، مقصورة أو ممدودة - يا- أيَا - هَيَا - أىْ معتوحة الهمزة المقصورة أو المحدودة مع سكون الياء فى الحالتين - وا ..... و هناك ستة أخرى هى: آ - يا - أيَا - هَيَا - أىْ بسكون الياء مع فتح الهمزة مقصورة وممدودة لاستدعاء المخاطب البعيد حساً أو معنى، والذى فى حكم البعيد كالنائم والغافل".(٣)

وقد وردت جملة النداء عند عمر فى ستين بيتاً من الشعر، وقد استخدم عمر حروف نداء مختلفة منها **"يا" ، "الهمزة ، أيا ، وغيرها من حروف النداء"**.

---

(١) من أمثلة التشبيه فى جملة الأمر ٧/٤ ، ١٠/٨٧ ، ٦/٤ .
(٢) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام د منير سلطان ٢٥٦/١
(٣) النحو الوافى عباس حسن ١/٢ .

ثانياً: التوظيف الفنى لجملة النداء :

"التوظيف الفنى للتركيب اللغوى هو الحالة الخاصة التى يحياها هذا التركيب مع مجموعة من التراكيب داخل منظومة متناسقة ، هو التوفيق بين خصائص التراكيب واختيار المكان الذى يصلح له دون غيره .

التوظيف الفنى هو هذا التشكيل الدقيق المحسوب الذى يمنحه الفنان روحه وذوقه وكيانه".(١)

(١) جملة النداء والصور :

(أ) المجاز: اعتمد عمر على الطاقات الفنية الحية المنبعثة من المجاز للتعبير عن مشاعره داخل نطاق جملة النداء، ومن أمثلة ذلك قوله:

يـــا قَلْـــبُ صَـــبْراً فَإِنَّـــه سَـــفَهٌ بِـــالمَرْءِ أَنْ يَـــسْتَفِزَّهُ الجَـــزَعُ

٤/٦٨

رحلت المحبوبة بعيداً عن ديار الشاعر، ولذا فهو لم يحتمل ألم فراقها، وكان هذا هو المثير الذى حرك مشاعره ولذلك جاءت الاستجابة سريعة واستحال القلب من وجهة نظره إلى رجل ثائر غاضب لابد من توجيه النصح له حتى يستقر، ويهدأ ؛ ولذلك خاطبه الشاعر منادياً عليه مستخدماً أداة النداء "يا" طالباً منه الصبر وتحمل الآلام ؛ لأنه ليس من الرشد أن يُسْلِمَ الإنسان نفسه إلى الحزن واليأس.

وجمال المجاز متوقف على أسلوب النداء "يـا قلـب" لأن ذلك الأسلوب يمثل استجابة قوية تظهر مدى الهم، والغم، والحزن الذى أصاب عمر إثر رحيل محبوبته لدرجة أن قلبه تحول إلى إنسان ثائر، ويجب على الشاعر أن يهدئ من روعه، وهناك علاقة

---

(١) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام ٢٧٨/١ .

بين استفزاز الجزع وطلب الصبر ونداء القلب إذ أن استفزاز الجزع يتطلب صبراً وافراً وتوجيه القلب إلى الصبر الوافر يتطلب نداءه بأداة نداء لذا فإن التركيب "يا قلب صبراً" جاء متناسباً مع حالة القلب المتدهورة التى تستدعى توجيه النصح والإرشاد له.

وفى بيت آخر يعتمد عمر على المجاز فى رسم صوره لحبه لـ "سكينة" حيث يقول:

يَـا سُـكْنُ حُبُّـكِ إِذْ كَلِفْـتُ بِحُـبِّكُمْ عَرَضـاً أَرَاهُ وَرَبِّ مَكَّـةَ مُمْرِضِـي

٧/٣٢٨

أتعب حب "سكينة" قلب عمر، حتى برى جسده، وأنحله وهذا هو المثير الذى ترك مشاعره فجاءت الاستجابة سريعةً ومعبرةً عن هذا الألم حيث أضحى هذا الحب عرضاً ظاهراً، ودليلاً واضحاً على وجود مرضٍ قابع فى جسد عمر، أضعفه، وأرهقه، وآله .

ويضيف أسلوب النداء إضافة جميلة إلى جمال المجاز؛ ذلك لأن أداة النداء المستخدمة فى الأسلوب "يا" تتناسب مع الموقف ، فالشاعر يحب سكينة ، وحبها أثر فى نفسه ، وهى تتدلل عليه، وتهجره؛ ولذلك ينادى عمر محبوبته مخبراً إياها أن حبها أصبح مرضاً ظهرت علاماته عليه، كما أن النداء بـ "يا" بمثابة الصوت الطويل القوى المعبر عن ألم عمر لهجر سكينة له.(١)

ثانياً جملة النداء والكناية :-

وردت الكناية مرات عديدة فى جملة النداء عند عمر،ومن الأمثلة على ذلك قوله :

يَـا قَـوْمِ حُـبُّ القَتْـولِ أَجْرَضَـنِى وَتَـارِكِى هَائِمـاً بِـلاَ دِمَـنِ

(١) من أمثلة المجاز فى جملة النداء ١/٢٢١ ، ١/١٨٣ ، ١٥/١٧٨ وغيرها .

الكناية فى قوله "وتاركى هائما بلا دمن" حيث عبر عمر عن شدة تأثره بحب القتول بانه سائر فى الأرض بلا هدى ، ولا رشد ، لا يدرى أن يذهب، وإلى أى وجهة يتحه وهذه كناية عن حبه الشديد لها ، وعن تأثره الشديد بهذا الحب. أما عن أسلوب النداء "يا قوم" فإنه بمثابة الاستغاثة القوية ، والشكوى المعبرة عما لحق به من جراء ذلك الحب وهذا يتناسب مع الكناية الواردة فى البيت [١]

(د) جملة النداء والطباق :

ورد الطباق فى جملة النداء فى بيتين هما :

أَيُّهَـــا العَاتِـــبُ فِيْهَـــا عُـــصِيتَا لَـــنْ تُطَـــاعَ الـــدَّهْرِ حَتَّـــى تَمُوتَـــا

١/٢٩٤

يخاطب عمر من يعاتبه فى أمر محبوبته ، وينشد قطع وشائج المحبة بينهما بـ "أيها" ويأتى خطابه بهذه الأداة تحديداً لشخص العاتب، وتنبيهاً له بالرد الصارم السريع الرافض "عـصيتا"، ثم يأتى الطباق غير المباشر بين "العاتب"، و "عـصيتا" و "تطاع"، و"تموتا" ليظهر حبه لمحبوبته وإخلاصه لها، ورفضه لموقف العاتب وهذا يعضد ما أفاده أسلوب النداء فى الشطر الأول. أما البيت الثانى فهو قوله :

يَـــا لَيْلَـــةً نَامَهَـــا الخَلِـــيُّ مِـــنَ الْحُـــزْ نِ وَنَـــــــوْمِى مُـــــــسَهَّدٌ أَرِقُ

١/٢٩٢

جاء تنكير كلمة "ليلة" للدلالتين:

الأولى : أنها ليلة سعيدة على الخلى من الحزن فهو ينام وتمتلئ جفونه بالنوم.

---

(١) من أمثلة الكناية المتضمنة فى جملة النداء ٥/٢١٦ ، ٣/٣٢٨ ، ٢/٢٢٠ وغيرها .

الثانية: أن الليلة كانت ليلة قاسية، مرهقةً طويلة على عمر؛ لأن النوم فارق جفنه، لأنه يفكر فيمن يحب. أما مدلول النداء فهو إظهار لما لاقاه عمر فى تلك الليلة التى عاشها أرقاً، ويأتى الطباق بين "نامها الخلى من الحزن". وبين "نومى مسهد أرق" ليظهر التناقض بين موقفه، وموقف من نام مرتاح البال يسعد بنومه وراحة جسده، أما عمر فلم ينم، ولم يسعد، ولم يرتح أويستقر.

(د) النداء والتعليل :-

من الفنون التى اعتمد عليها عمر فى التعبير عن مشاعره تجاه محبوباته فن التعليل.

يقول عمر :

يَـــا صَـــاحِبِىَّ تَـــصَدَّعَتْ كِبْـــدِى أَشْـــكُو الغَـــدَاةَ إِلَيْكُمَـــا وَجْـــدِى

مِـــنْ حُـــبِّ جَارِيَـــةٍ كَلِفْـــتُ بِهَـــا حَلَّـــتْ بِمَكَّـــةَ فِـــى بَنِـــى سَـــعْدِ

١/١٥٧

ينادى عمر صاحبيه بأداة النداء "يـا". وهذه الأداة تتناسب مع حالته النفسية غير المستقرة، لأنها نداء للبعيد ، فالشاعر تصدعت كبده من حب جارية ، وهو يود أن يخبر عن حاله حتى تستقر نفسه لذلك نادى بـ"يا" التى هى بمثابة الصوت العالى المرتفع حتى يدركه صاحباه ويعرفا ماذا ألم به وقد يكونا أمامه وشدة ألمه جعله يجار بالاستغاثة. ثم يأتى التعليل فى البيت الثانى مبرراً سبب نداء عمر على صاحبيه ومظهراً سبب تصدع كبده، وهو أنه أحب جارية سكنت بمكة وحلت فى بنى سعد .

ثالثاً جملة الشرط :

" تطلق جملة الشرط على تركيب الجملة الشرطية . أى المكونة من:

أداة الشرط، وجملتين بعدها" [1]، والشرط "هو تعليق فعل بفعل، هو: ربط مقدمة بنتيجة، هو معنى: له تكملة، وحركة دائرية تبدأ بفعل الشرط، وتنتهى بجواب الشرط والشاعر يَشْرُط، يجعل وقوع فعل مترتباً على وقوع آخر، والفن يعطيه الرخصة أن ينطلق فى الآفاق، وأن يرتب ما يرتب من أفكار وأحداث على أفكار أخرى، وأحداث أخرى وذلك من خلال الإطار الفنى والانفعالى للعمل الذى يقدمه". [2]

وقد وردت جملة الشرط فى شعر عمر فى تسعة وأربعين بيتاً، أما عن الأدوات التى وردت بها جملة الشرط فهى إنْ، إذا، ولو.

ومن الأمثلة التى تبدأ بـ "إنْ" قوله :-

إنْ نَـــأتْ غُرْبَـــةٌ بهِنْـــدٍ فَإِنَّـــا قَـــدْ حَـــشِينَا أَلاَّ تُقَـــارِبَ حِينَـــا

٤/١٤١

وفى بعض الأبيات يبدأ عمر جملة الشرط بـ "لو" مثل قوله :

لَـــوْ دَبَّ دَرٌّ رُوَيْـــداً فَـــوْقَ قَرْقَرِهَـــا لأَثَّرَ الذرُّ فَوْقَ الثَّوْبِ فِى الْبَشَرِ [3] ٥/٨

ومن الأمثلة التى تبدأ بـ "إذا" قوله:

إذَا الْحُبُّ الْمُبَرِّحُ بَادَ يَوْماً فَحُبُّكِ عِنْدَنَا أَبَداً مُقِيمُ

---

(١) الجملة الشرطية عند النحاة العرب ص ١٥ ، أبو أوس إبراهيم الشمسان تقديم د.محمود فهمى حجازى ط الأولى(١٤٠١ هـ -١٩٨١م) مطابع الدجوى – عابدين – القاهرة .

(٢) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام ٤٠٩/١ وما بعدها .

(٣) الذر : صغار النمل ، ودبيبه : سيره ، القرقر – بوزن جعفر – ثياب المرأة ، والبشر : الجلد ، الديوان ص ١١٧ .

أولاً نشكل جملة الشرط عند عمر :-

تختلف جملة الشرط النحوية عن جملة الشرط الفنية ؛ لأن جملة الشرط النحوية لا يتحقق فيها جواب الشرط إلا إذا تحقق فعل الشرط، لكن جملة الشرط الفنية لها خصائصها المميزة وهي: تصوُّرٌ وإحساسٌ أحس به الشاعر في أثناء اندماجه نفسياً بعمله الفني، وذهنياً بهندسته المعمارية، ومن خلال العلاقة التي تنشأ بين الفعل الشرطي وجوابه- على ما بينهما من اختلاف في القوة أو في المجال ، أو في الارتباط المنطقي تتكون لدينا جملة شرطية لها طابع خاص، وطعم خاص يجمع بين الخصائص المعمارية للشرط بأن يكون حدوث جواب الشرط مترتباً على الفعل بشكل يطرد يكاد يصل إلى الحتمية المنطقية ، وبين المعالجة الفنية لهذا الشكل المنضبط بتوسيع مجراه حتى يتحول إلى حالة انضباط ذاتي يراها الشاعر وحده، غير ملزم بها أحداً ، ومن هنا يكمن جمال الشرط ، انضباط غير منضبط ، وغرابة في ضم الشتات، ونتيجة غير متوقعة، وخيال ورشاقة.(١)

أما عن تشكيل جملة الشرط عند عمر فتتشكل الجملة في تشكلين أساسين هما:

أولاً: جملة جواب الشرط والتراكيب :

من المعتاد أن تأتي جملة جواب الشرط غير مقترنة بأمر أو نهي وذلك مثل قولنا "إنْ تذاكر تنجح" أما جملة الشرط الفنية عند عمر فإنها تخرج عن هذه الدائرة المحدودة إلى آفاق أرحب حيث يقرن عمر جملة جواب الشرط بنهي أو بأمر لغرض بلاغي يقصده

---

(١) بديع التراكيب في شعر أبي تمام ٤٢٣/١.

وعلى ذلك تكون جملة الشرط – التى تلى الأداة– بمثابة المقدمة لإقرار واقع معين، ثم يأتى جواب الشرط مسبوقاً بالنهى أو الأمر وذلك مثل قول عمر على لسان صديقه ابن أبى عتيق:-

فَإِنْ كُنْتَ عُلِّقْتَ الرَّبَابَ فَلاَ تَكُنْ أَحَادِيثَ مَنْ يَبْدُو وَمَنْ هُوَ حَاضِرُ

٥/٤

تشكك جملة الشرط السابقة فى حب عمر الذى زاد عن الحد، وكاد يفتضح أمره بين الناس، وكأن ابن أبى عتيق صاحبه يقول:

إن سلمنا معك بأن حبها فوق قدرتك على التخلص منه – مع أن كل شىء ممكن – فإنك إن عجزت عن نبذ حبها، فلست معذوراً فى أن تتهالك تهالكاً يفضحك ويفضحها. وجمال جملة الشرط عند عمر يكمن فى اختلافها عن جملة الشرط النحوية "**إن كنت علقت الرباب فلا تفضح نفسك**" ولكن عمر عبر عن المعنى ذاته بأسلوب فنى حيث ضمن جملة جواب الشرط كنايةً "**ولا تكن أحاديث من يبدو ومن هو حاضر**" عبرت عن مدى حبه لهذه المرأة لدرجة خطيرة درجة أنه صار أحدوثه للرائح والغادى وحديثا للمجالس والنوادى، والناس لا ترحم والحب لا يرحم، وعمر بينهما يتمزق.

كما دللت الكناية على صدق حب عتيق لعمر لأنه يخشى عليه افتضاح أمره وكشف سره.

ومن الأمثلة على اقتران جملة جواب الشرط بأمر قوله:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَتْبَعِ الهَوَى فَكُنْ صَخْرَةً بالْحِجْرِ مِنْ حَجَرٍ أَصَمّ

يبرز عمر من خلال جملة الشرط أن الإنسان إذا لم ينبض قلبه بالحب ، فليكن صخرة أو حديداً ، أو جبلاً من جبال مكة ، تمر به الأيام والليالى وهو قابع صامد صامت .

ولو تأملنا أسلوب الشرط لوجدنا أن جمال جملة الشرط كامن فى جملة جواب الشرط المقترنة بأمر "فكن صخرة بالحجر من حجر أصم" حيث شبه عمر الإنسان الذى لم يحب بصخرة صماء ، ووجه الشبه هو القسوة والغلظة والشدة فقلب "لم يدق عشقاً وحباً هو قلب قاسٍ غليظ شديد أشبه بصخرة صماء لا نبض فيها ولا حياة" .

ثانياً التقديم والتأخير وجملة الشرط :

يقدم عمر ويؤخر حسبما يشاء فى جملة الشرط بحيث يتفق التقديم والتأخير مع ما يشعر به ويحسه بشرط ألا تختل الصياغة .

يقول عمر :-

فَإِنْ كَانَ فِى ذَنْبٍ إِلَيْكَ اجْتَرَمْتُهُ تَعَمَّدْتُهُ عَمْداً فَنَفْسِى أَلُومُ

٤/٨١

تلوم الرباب – محبوبة عمر– الشاعر لسماعه أقوال الوشاة، وهى فى الوقت ذاته تعتذر له إنْ أخطأت فى حقه. وقد استخدم عمر أسلوب الشرط معبراً عن اعتذار الرباب له، ولومها لنفسها لوماً شديداً لأنها قصرت فى حقه، وأنها لم تتعمد الخطأ فى حقه ويبدى هذا كله التقديم والتأخير فى جملة جواب الشرط حيث قدم المفعول به "نفسى" على

الفعل "ألوم" لقصر اللوم على المحبوبة وحدها اعترافاً بحق عمر عليها وتأنيباً لنفسها على ما حدث منها فى حقه.

ثانياً توظيف جملة الشرط فنياً :

تضمن جملة الشرط عند عمر فنوناً بلاغية مثل المجاز والكناية ، والطباق وغيرها .

أولاً: المجاز : يعتمد عمر على المجاز فى إظهار مشاعره نحو محبوبته وذلك مثل قوله:

إنْ تكُـــنْ دَارُ آلِ نُعْـــمٍ قَـــوَاءً حَالِيـاً جَوُّهَـا مِـنَ الأجْـوَارِ[1]

فَلَقِـــدْماً رَأَيْـــتُ فِيهـــا مَهَـــاةً فـــى جَـــوَارٍ أَوَانِـــسٍ أبْكَـــارِ ١٩/٥

يعتمد عمر على جملة الشرط ليعبر عن مشاعره تجاه ديار المحبوبة الظاعنة ورسم صورة جميلة للمحبوبة فى ذاكرته، وذلك من خلال جملة الشرط التى تعبر عن حالته النفسية تجاه ديار المحبوبة "إن تكن دار آل نعم قواء خالياً جوها من الأجوار" والتى هى فى الوقت ذاته المثير الذى أثاره كى يرسم لمحبوبته صورة جميلة ثم تجئ جملة الشرط فى البيت الثانى "فَلَقِدْمَاً رأيت فيها مهاة فى جوارٍ أوانسٍ أبكارٍ" لترسم تلك الصورة الرائعة للمحبوبة وتمثل الاستجابة السريعة لجملة الشرط فجملة الشرط "المثير" تحولت إلى استجابة فى جملة جواب الشرط ذلك إن تكن دار المحبوبة حَرِيةً لا أحد فيها، ولا عمار حولها فإن عمر فى الماضى طالما رأى فيها مهاةً متألقة، رشيقة، خفيفة الحركة، جميلة تتهادى وسط صديقاتها صغيرات السن.

---

(١) قواء – بفتح القاف – لا أنيس بها، والأجوار : جمع جار – الديوان ص ١٣٤ .

وجمال المجاز أنه يتكاتف فى جملة الشرط – التى هو جزء منها – فى رسم صورة جميلة لمحبوبته ، وكذلك فإن جملة الشرط اتحدت مع المجاز فى رسم هذه الصورة لمحبوبته.

وبقول عمر فى بيت آخر:

إنْ لَـمْ يَكُـنْ لَـكِ رَحْمَـةٌ وَتَعَطُّـفٌ فَتَحَرَّجِى مِنْ قَتْلِنَا أَنْ تَأْثَمِى ٨/٩١

تكشف جملة الشرط "إن لم يكن لك رحمة وتعطف" هجر محبوبته عمر له وبُعْدَها عنه، وسوء معاملتها له، وهذا هو المثير الذى حرك مشاعر عمر، فحدثت الاستجابة السريعة ممثلة فى جملة جواب الشرط "فتحرجى من قتلنا أن تأثمى" حيث تحول الهجر والبعد والصد – المثير – قتلاً يمزق أوصال الشاعر، واغتيالاً لمشاعره، وهزالاً يسقم جسده – الاستجابة – وفى هذا دليل على تدهور حالته الجسدية، وتمزق حالته النفسية ويعكس ذلك حبه الشديد لتلك المرأة وتعلقه بها.

وجمال المجاز نابع من كونه جملة جواب الشرط التى استطاعت أن تعبر عن أثر معاملة المحبوبة السيئة تجاه عمر التى أظهرتها جملة الشرط "إن لم يكن لك رحمة وتعطف" فأثر هذه المعاملة أثر خطير لا تقدر المحبوبة على تحمله لأن فيه قتل الشاعر ووفاته وتحمل المحبوبة لهذا القتل وتلك الوفاة لذلك يحذر عمر المحبوبة معتمداً على المجاز من تلك النتيجة السيئة .

ولقد ارتكزت جملة الشرط على المجاز فى إظهار مشاعر عمر ولذلك تحقق الجمال ويظهر ذلك لو فرضنا جواب شرط آخر مثل "إن لم يكن لك رحمة وتعطف فارحمينا من هجرك وصدك" لما أحسسنا بالجمال الذى شعرنا به من ذى قبل.(١)

(١) من أمثلة المجاز فى جملة الشرط - ١٨/٧٤ ، ٣/٨٤ .

ثانياً الكناية:

اعتمد ابن أبي ربيعة على جملة الشرط للوصول إلى الكناية سواءً أكانت للتعبير عن حبه لإحدى محبوباته أم لوصف جمالهن أو لغرض آخر.

يقول عمر:

لَـوْ دَبَّ ذَرٌّ فَـوْقَ ضَـاحِي جِلْـدِهَا لأَبَـانَ مِـنْ آثَـارِهِنَّ حُـدُورُ ٦/١٣

محبوبة عمر مترفة الحياة، لها من يكفل مصالحها، ولذلك فإن يدها ناعمة الملمس . يبدو عليها أثر الترف والنعمة لدرجة أن صغار النمل بالرغم من صغرها – لو مرت على جلد هذه المرأة لترك آثاراً بالغة الوضوح فى جلدها والبيت كناية عن ترف المحبوبة وغناها ونعومة ملمسها ورقتها . ولعمر تراكيبه الخاصة التى عبر خلالها عن ترف محبوبته وغناها وعيشها الرغد .

ويقول فى بيت آخر :

إذَا خَـدِرَتْ رِجْلِـى أَبُـوحُ بِـذِكْرِهَا لِيَذْهَبَ عَنْ رِجْلِى الْخُدُورُ فَيَذْهَبُ ٨/٢٠٤

أضحت "زينب" أحب إنسانة إلى قلب عمر. لذا فإن الشاعر إذا أحس بفتور واسترخاء، وتعب فى رجله فإنه لا يستعين بطبيب أو بدواء . ولكنه فقط يذكر اسم زينب محبوبته – ويردده، فإذا بالمرض يتبدد، وإذا برجله تُشْفَى وهذه كناية عن حبه الشديد لـ "زينب".(١)

(١) من أمثلة الكناية المتضمنة فى جملة الشرط ٦/١٣ ، ٦/٨٦ ، ٦/١١٤ ، ٦/٦٤ ، ١/١٣٥ وغيرها .

ثالثاً الإيقاع وجملة الشرط :

السجع: يعطى السجع نغماً موسيقياً يضفى جمالاً على التراكيب الأخرى

وذلك مثل قول عمر:

لَـــوْ تَحَرَّجْـــتِ أَوْ تَجَرَّمْـــتِ مِنِّـــى مَـــا تَبَاعَـــدْتِ كُلَّمَـــا ازْدَدتِ قُرْبَـــا (١)

٥/٢٣٦

إن المتفحص فى جملة الشرط فى البيت السابق يجد أن جملة الشرط فى صدر البيت الأول جملة مسجوعه، والسجع بين فعل الشرط "تحرجت". الفعل المعطوف عليه "تجرمت" وهذا السجع يعطى جملة الشرط – أداة الشرط وفعله – نسقاً موسيقياً هادئاً يمنح جملة الشرط جمالاً صوتياً متناسباً مع المعنى. وكذلك القول بالنسبة للسجع القابع فى جملة جواب الشرط المنفية بين "تباعدت". و"ازددت" فالسجع هنا يعطى جملة جواب الشرط مزية موسيقية بخصوصها لا يمنحها غيره من الفنون البلاغية.

والسجع فى الشطر الأول بين فعل الشرط "تحرجت". والفعل المعطوف عليه يتسق من ناحية المعنى مع السجع فى البيت الثانى بين "تباعدت". "ازددت" لأن البعد والهجران نتيجة لعدم التحرج أو التجرم من المحبوبة.

رابعاً جملة الاستفهام :

الاستفهام – كما هو معروف – ينقسم قسمين:

استفهام حقيقى يبحث عن إجابة، وآخر مجازى يخرج عن دائرة الحقيقة إلى دوائر أخرى قد تكون تعجباً أو استنكاراً أو نفياً أو غير ذلك. وقد وردت جملة الاستفهام فى شعر ابن أبى ربيعة فى أربعين بيتاً.

---

(١) تحرجت : خشيت الحرج ، وتجرمت : خفت أن تقع فى إثم ، الديوان ص ٤٠٥ .

خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر :

خرج الاستفهام عند عمر عن مقتضى الظاهر إلى أغراض شتى مثل التقرير والحيرة، والعتاب، والتمنى، والسخرية وغير ذلك من الأغراض البلاغية لكن كل هذه الأغراض متفقة فى فضل واحد، ومزية واحدة هى أنها تصف أحاسيس الشاعر، ومشاعره تجاه محبوباته حيث تظهر مواقفة المتباينة تجاه كل واحدة منهن.

وقد خرج الاستفهام عن مقتضى الظاهر إلى الحيرة ومن أمثلة ذلك قوله:

يَا قَلْبُ أَخْبِرْنِى وَفِى النَّفْىِ رَاحَةٌ ... إِذَا مَا نَوَتْ هِنْدُ كَيْفَ تَصْنَعُ ؟

أَتُجْمِعُ يَأْسَاً أَم تَحِنُّ صَبَابَةً ... عَلَى إِثْرِ هِنْدٍ حِينَ بَانَتْ وَتَجْزَعُ؟ ٢/٦١

الشاعر متحير، ولا يدرى ماذا يفعل بعد ما رحلت "هند" هل ييأس من أمرها، أم يحن إلى هواها، لا يعرف ماذا يفعل؟

وفى بعض الأحيان يخرج الاستفهام فى شعر عمر إلى النفى وذلك مثل قوله:

أَيَخْفَى لَنَا وَلِلْمُغِيرِىِّ مَجْلِسٌ؟ ... فَإِنَّ النَّوى كَانَتْ قَلِيلاً لِمَامُهَا ٤/٨٥

ينفى عمر أن لقاءه بواحدة من النساء وصديقاتها لا يخفى على الناس فى مجتمعه؛ لأنه من السهل عليهم أن يرصدوا مكان لقائه مع النساء.

ويخرج الاستفهام إلى التمنى وذلك كقوله :

هَلْ عَيْشُنَا بِمِنًى يَعُودُ كَعَهْدِنَا ... إِذْ لاَ نُرَاعُ وَلاَ يُطَاعُ اللُّوَّمُ؟ ٨/٨٩

يتمنى عمر أن يعود عيشه بمِنىً مع من يحب مثل سابق زمانه حيث اللقاء الآمن من أعين الناس والرقباء.

وفى بعض الأحيان يخرج الاستفهام إلى العتاب وذلك كقوله :

أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَّا عَلَيْكَ الم تَخَفْ وُقِيتَ وَحَوْلِى مِنْ عَدُوِّكَ حُضَّرُ ؟

٢٩/١

تتعجب "نعم" من دخول عمر فجأة حجرتها دون إذن بالرغم من الحراس والرقباء .

ويخرج الاستفهام إلى الاستبعاد والاستحالة والرغبة التى لا تنقطع كقوله :

أَنَّى تَذَكَّرَ زَيْنَبَ القَلْبُ وَطِلاَبُ وَصْلِ غَرِيرَةٍ شَعْبُ ؟ (١)

٧/٢١٢

يستبعد عمر حب قلبه لـ "زينب". وتذكره لها؛ لأنها فتاة صغيرة السن. وتذكر فتاة شابة مثلها يصدع القلب. وخرج الاستفهام فى أحيان أخرى إلى الاستنكار والدهشة والعتاب كقوله:

أَهَجَرْتَنَا ثُمَّ اعْتَلَلْتَ لَنَا ؟ وَلَقَد نَرَى أَنْ مَا لَنَا ذَنْبُ

٥/٢١٢

يستنكر عمر هجر محبوبته له، وتعللها بالعلل، ويرى أنه لا ذنب له فى هجرها المزعوم.

ويخرج الاستفهام إلى التحدى والتعجيز مثل قوله :

فَقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ بِالْحُسْنِ : إِنَّمَا ضَرَرْتَ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا

٨/٥٤

(١) أنى: كيف، والطلاب بكسر الطاء – الطلب، والغريرة: الشابة أو التى لا تجربة لها ، وشعب: يصدع القلب الديوان ص ٣٨٧.

يتحدى عمر مادح النسوة له بأن يفعل شيئاً يخلصه مما أصاب فؤاده ، وشغل باله من جراء جمالهن الفتاك.

ويخرج الاستفهام إلى الحث والتحفيز كقوله:

وَلَسْتُ بِنَاسٍ مَقَالَ الْفَتَاةِ غَدَاةَ الْمَحَصَّبِ إِذْ جَمَّرُوا

أَلَسْتَ مُلِمّاً بِنَا يَا فَتَى إِذَا نَامَ غُنَّا الأُولَى تَحْذَرُ؟ ٥/٥١

تشجع الفتاة عمر أن يزورها ليلاً بعد أن ينام مَنْ تخشى صولته، ويتضح ذلك من خلال الاستفهام بالهمزة الذى – يحفزه ويشجعه على زيارتها– "ألست ملماً بنا" أما النداء "يا فتى" فيظهر القوة والفتوة لعمر.

ثالثاً توظيف جملة الاستفهام فنياً :

أولاً الاستفهام والنداء:

ورد النداء داخل سياق جملة الاستفهام ، وكان لكل منهما دور فى الصياغة وللنظر إلى قول عمر:

أَلاَ يَا أَيُّهَا الْوَاشِي بِهِنْدٍ أَضُرِّي رُمْتَ أَمْ حَاوَلْتَ نَفْعِي؟

أَقُلْتَ الرُّشْدَ صَرْمَ حِبَالِ هِنْدٍ وَمَا إِنْ مَا أَتَيْتَ بِهِ بِبِدْعِ

أَتَأْمُرُ بِالْفَحِيْعَةِ دَا صَفَاءٍ كَرِيمَ الْوَصْلِ لَمْ يَهْمُمْ بِفَجْعِ؟ ١/٦٩

يخاطب عمر الواشى ساخراً منه، متشككاً فى أقواله، مستخدماً فى ندائه "يا" و"أيها" وهما من حروف النداء.

ولعل السبب وراء استخدامه لحرفين من حروف النداء هو تحديد شخص الواشي وتنبيهه لما سيأتي من حديث هذه ناحية أما الناحية الأخر فالسخرية منه والتشكيك في كل أقواله، ولما كل هذا؟

لسبب معين هو أنه أراد قطع صلات الحب بين عمر وبين"هند" يجئ الاستفهام في عجز البيت الأول ليتم المعنى في شطر البيت الأول حيث يتساءل عمر متحيراً هل يريد الواشي نفعي؟ أم يريد ضرى، وينكر عمر- معتمداً على الاستفهام - حديث الواشي له.

ثم يأتي الاستفهام في البيتين الثاني والثالث متحداً مع النداء في البيت الأول ليعبرا عن موقف عمر تجاه الواشي، حيث يسخر عمر من واشيه، ويسخر منه لأنه نصحه بهجر هند، وعمر ينكر عليه نصيحته ويرفضها لأن هند لا تستحق الهجر بل تستحق الحب كل الحب، والوصل كل الوصل.

يستنكر عمر مستخدماً الاستفهام في البيت الثالث هجر "هند" لأن الفجيعة كل الفجيعة في هجرها والبعد عنها، وفي استنكار عمر لهجر محبوبته في البيت الثالث توكيد على عدم نيته في هجرها مطلقاً.(١)

ثانياً: الاستفهام والمجاز:

يعتمد ابن أبي ربيعة على المجاز المُتضمِّن جملة الاستفهام ليرسم صوراً لجمال محبوبته ، ولوصف مشاعره نحوهن.

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... وَلِي نَظْرَةٌ لَوْلاَ النَّحَرُّجُ عَارِمُ

فَقُلْتُ أَشَمْسٌ أَمْ مَصَابِيحُ بِيعَةٍ ... بَدَتْ لَكَ تَحْتَ السِّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ

---

(١) من أمثلة النداء المُتضمَّن داخل جملة الاستفهام ١/٧٠ .

٤/٧٧

نظر عمر إلى "هنـد" نظرةً – لولا تحرجه- لخرجت عن القصد والحد فكان هذا هو المثير الذى أثاره وحرك مشاعره ليصف لنا ما رآه من جمالها ، ولذا جاءت الاستجابة السريعة حيث أضحت "هنـد" شمساً متلألئةً أو مصابيح لها إضاءة عظيمة ظهرت له تحت السجف، ولتشبيه المحبوبة بالشمس دلالته فالمحبوبة لها تلألؤ الشمس، وبريقها ولمعانها، وبياضها الناصع، وإشراقها حيث أصبحت المحبوبة شمساً منيرة تتبختر على الأرض وكذلك التشبيه المحبوبة بالمصابيح له دلالاته- التى تشترك مع دلالات الشمس- من الإضاءة والبريق وغيرهما، والمحبوبة لها جميع هذه الصفات وهى تحت الستر فما بالنا لو خلعت سترها، وأبانت جمالها، وكان للاستفهام دوره فى المشاركة مع المجاز فى إبراز جمال "هند"، ذلك أن الاستفهام فى البيت الثانى جاء ليظهر انبهار عمر بجمال هند، ويظهر تلك الحيرة التى اعترته من مشاهدته لجمالها، ولذلك هو لا يدرى هل جمالها جمال الشمس المنيرة، أم أن جمالها جمال المصابيح عظيمة الإضاءة، أم أن هذا الجمال الرائع هو من صنع خياله فى منامه.

وفى بيت آخر يقول عمر:

فَـأَنَّى سُـلُوُّ الْقَلْـبِ عَنْهَـا وَقَـدْ سَـبَا فُـؤَادِى مِنْهَـا ذُو غَـدَائِرَ فَـاحِمُ ؟ (١)

١٣/٧٨

أثر شعر المحبوبة الأسود كثيراً فى عمر، وكان هو المثير الذى حرك أحاسيسه فجاءت الاستجابة سريعة أن هذا الشعر الفاحم قد سبا قلب عمر، وأسر مشاعره وأحاسيسه ، فالقلب رهين عند المحبوبة، مأسور بحبها، والأسير مغلوب على أمره، مضطر

(١) من أمثلة المجاز المتضمن فى جملة الاستفهام القصيدة رقم ١٠٩ / البيت رقم ٦، ١٢/٧٨ ، ٣/١٠٣ وغيرها .

أن ينفذ أوامر أسره. ويأتى الاستفهام بـ "أنّـى" فى بداية البيت ليؤكد حب عمر الشديد لتلك المحبوبة، ورفضه الشديد لهجرها والبعد عنها.

ثالثاً الاستفهام والمبالغة :

من الفنون التى تضمنتها دلالة الاستفهام من المبالغة قول عمر :

كَيْفَ صَبْرِى عَنْ بَعْضِ نَفْسِى ؟ وَهَلْ يَصْـ برُعَنْ بَعْضِ نَفْسِه الإِنْسَانُ ؟ ٨/١٣٤

يفيد الاستفهام فى صدر البيت الأول "كيف صبرى عن بعض نفسى" حب عمر الشديد لمحبوبته "زينب"، وعشقه لها ، وهيامه بها، ولذلك يجعل الاستفهام "زينب" جزءاً من جسد عمر، وقطعةً من لحمه ودمه، أما الاستفهام الثانى "وهل يصبر عن بعض نفسه الإنسان " فيدل على تعلقه بها، وسيره فى فلكها، لأنها قطعه من نفسه، ولا يستطيع الإنسان أن يتخلى عن بعض نفسه .

وقد خرج الاستفهامان فى البيت السابق إلى المبالغة فى حب عمر لتلك المرأة ذلك الحب الذى جعلها تتغلغل فى قلبه وتسرى فى دمائه ، لذا فهو لا يقدر على هجرها وفراقها.

خامساً القسم:

يعرف الأستاذ عبد السلام هارون القسم بقوله:

"القسم هو الحَلِف، واليمين، والقسم ضرب من ضروب الإنشاء غير الطلبى وهو إما أن يكون بجملة فعلية نحو: أقسم بالله أو بجملة اسمية نحو: يمين الله لأفعلن كذا.

أو بأدوات القسم الجارَّةِ لما بعدها .

وأدوات القسم هى: الباء، الواو، التاء ، اللام ، الميم المكسورة، مُنْ ".[1]

---

(١) الأساليب الإنشائية فى النحو العربى عبد السلام محمد هارون،ط٢، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م ،الخانجى القاهرة ص ١٦٢.

وقد وردت جملة القسم فى شعر ابن أبى ربيعة فى أربعين بيتاً، أقسم فيها عمر مستخدماً تاء القسم وذلك فى بيت واحد هو قوله:

تَـــاللّهِ أنْـــسَى حُبَّهَـــا حَيَاتَنَـــا أوْ أقْبَـــرُ ١٦/٥٠

وأقسم عمر مستخدماً باء القسم فى عدة أبيات منها قوله:

وَأنَّهَـا حَلَفَـتْ بِـاللّهِ جَاهِـدَةً وَمَـا أهَـلَّ لَـهُ الحُجَّـاجُ واعْتَمَـرُوا

مَا وَافَقَ النَّفْسَ مِن شَيءٍ تُسَرُّبِه وَأعجَـبَ العَـيْنَ إلاَّ فَوْقَـه عُمَـرُ

وكذلك أقسم بـ " واو القسم بصيغة "والله" كقوله :

وَوَاللّهِ مَـا أحْبَبْـتُ حُبَّـكِ أيْمَـاً وَلاَ ذَاتِ بَعْلٍ يَاثُنَيْدَةُ فَاعْلَمِى ٧٤ب/٤

وأقسم عمر ببعض الأماكن الإسلامية فى شعره ، وذلك مثل قوله :

لاَ وَالَّـذِى بَعَـثَ النَّبِـيَّ مُحَمَّـداً بِـالنُّورِ وَالإِسْـلاَمِ دِيـنِ الْقَـيِّمِ

وَبِمَـا أهَـلَّ بِـهِ الْحَجِـيجُ وَكَبَّـرُوا عِنْـدَ الْمَقَـامِ وَرُكْـنَ بَيْـتِ الْمَحْـرَمِ

وَالْمَـسْجِدِ الأَقْـصَى الْمُبَـارَكِ حَوْلَـهُ وَالطُّـورِ حَلْفَـةَ صَـادِقٍ لَـمْ يَـأْثَمِ

مَـا كُنْـتُ عَهْـدَكِ يَـا عُيَـيْمَ ، وَلاَ فَقَـا قَلْبِـى إلَـى وَصْـلٍ لِغَيْـرِكِ فَـاعْلَمِى ١٢/٩١

المقسم به والمقسم عليه عند عمر:

يقسم الشاعر بلفظ الجلالة "والله"، و"بالله" أو بصفة من صفات الله- جل وعلا مثل "الـرحمن" أو بمكان له قيمة إسلامية فى قلوب المسلمين مثل الكعبة. ولاشك أن فى قسمه بالله تعالى أو بإحدى صفاته تأثيراً قوياً عند مَنْ يسمعه حيث إن القسم بالذات العلية أو صفة من صفاتها يصبغ كلامه بصبغة الصدق فى القول. أما عن المقسم عليه فهى - عادةً - مشاعره وأحاسيسه المتباينة تجاه إحدى محبوباته ، فتارة يقسم أنه لا يحب أحداً فى الدنيا مثل محبوبته، وأخرى يقسم أنه لا ينسى حبها أبداً، وثالثة يقسم أن حياته لا طعم لها بدونها.

وقد يأتى المقسم عليه تالياً للقسم مباشرة مثل قوله :

وَاللهِ مَـــا أَحْبَبْـــتُ حُـــبَّكُمُ لاَ تُبْبِـــاً حُلِقَـــتْ وَلاَ بِكُـــرَا ٣/ ٣٦

وفى أحيانٍ أخر لا يأتى المقسم عليه بعد القسم مباشرة ويأتى فى البيت الثانى مثل قوله :

هِـــىَ وَاللهِ الَّـــذِى هُـــوَ رَيِّـــى صَـــادِقاً أَحْلِـــفُ غَيْـــرَ الْكِـــذَابِ

أَكْـــرَمُ الأَحْيَـــاءِ طُـــرًّا عَلَيْنَـــا عِنْـدَ قُـرْبٍ مِـنْهُمُ وَاغْتِـرَابِ ٧/٢٦٣

وقد يأتى المقسم عليه بعد أبيات عدة مثل قوله:

إِنِّـى وَمَـنْ أَحْـرَمَ الْحَجِيـجُ لَـهُ وَمَوْقِـفِ الْهَـدْىِ بَعْـدُ والْبُـدُنِ

والْبَيْـتِ ذِى الأَبطَـحِ الْعَتِيـقِ، ومَـا جُلِّلَ مِـنْ حُـرٍّ عَصْبِ ذِى الْيَمَنِ

وَالأَشْـعَثِ الطَّـائِفِ الْمُهِـلِّ ، ومَـا بَـيْنَ الـصَّفَا وَالْمَقَـامِ والـرُّكُنِ

وَزَمْـــزَمٍ والحِمَـــارِ إِذْ رُمِيَـــتْ وَالْجَمْـــرَتَيْنِ اللَّتَيْـــنِ بالْبطْـــنَ

وَمَـا أَقَـرَّ الظِّبَـاءَ بالبَيْـتِ وَالْـوُرْقِ إذا مَـــا دَعَـــتْ عَلَـــى فَنَـــنِ

مَا حُنْتُ عَهْدَ الْقَتُولِ إِذْ شَحَطَتْ وَلَـوْ أَتَوْهَـا بـه لِتَـصْرِمِنِى ١/١٣٧

توظيف جملة القسم فنياً :-

التوظيف الفنى فى الأساس يعنى : "اختيار كلمة دون غيرها أو جملة دون غيرها ثم وضعها فى المكان الذى يحتاج إليها فنياً . الكلمة المناسبة فى المكان المناسب والجملة المناسبة فى المكان المناسب . ثم يأتى بعد ذلك تشكيل الجملة فى صورة تشبيهية أو مجازية ... إلخ .

وقد تأتى الجملة بلا صورة فنية . كما يأتى موقعه (أى محتوية على إيقاع) أو غير موقعة ، فليست هذه العوامل شرطاً فى تحقيق الجمال ، لأنه قد تحقق سلفاً

فى (الكلمة المناسبة فى المكان المناسب) بقدر ما هى عوامل إضافية تضفى جمالاً على الجمال، والبلاغة كل لا يتجزأ.

وجملة القسم هى المقسم به ، والمقسم عليه ، وتتسع فتكون المقسم، والمقسم به والمقسم عليه، والعلاقة وطيدة بين المقسم والمقسم عليه وطيدة أيضاً بينهما وبين موضوع العمل الفنى نفسه".[1]

أولاً التراكيب : جملة القسم والاستفهام :

من الفنون البلاغية التى وردت فى جملة القسم "الاستفهام". ومن الأمثلة على ذلك قوله:

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى: أَتَعْجِيلُ حَاجَةٍ سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ ؟

٣٢/١

يؤدى المقسم بصيغة "والله" دوراً مهماً فى صدر البيت الأول حيث يدل على صدق حديث المحبوبة، وصدق موقفها فهى تقسم بالله أنها متحيرةٌ فى مجئ عمر فى ساعة متأخرة من الليل. أما الاستفهام فى قوله " أتعجيل حاجة " فيتناسب مع القسم فى صدر البيت الأول لأنه يعكس مدى الحيرة والتعب اللذين أحستهما المحبوبة لما دخل عليها فى ساعة متأخرةٍ من الليل ، وهذا ما أقسمت عليه المحبوبة فى بداية البيت .إذاً فالمحبوبة تنأى بنفسها عن تعمد لقائه والتصدى له من خلال القسم وأسلوب الاستفهام .

ثانياً الصور : (١) المجاز :-

يعكس المجاز المتضمن فى جملة الشرط أحاسيس عمر فتخرج فى صورة واضحة وذلك مثل قوله فى إحدى محبوباته:

---

(١) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام د.منير سلطان ٢٠٨/١ .

فِـــيمَ بِـــاللّهِ تَقْتُلِيـــنَ مُحِبًّـــاً لَـــكِ بِالْوَصْـــلِ مُخْلِـــصاً بَـــذَّالاَ

وَلَعَمْـــرِي لَـــئِنْ هَمَمْـــتِ بِقَتْلِـــي لَبِمَا قَدْ قَتَلْتِ قَبْلِي الرِّجَالاَ ١٤/١٩٢

يتكئ عمر على المجاز فى التعبير عن مدى حبه ، وعشقه لمن يحب ، ولذلك جعل هجر محبوبته له قتلاً وهلاكاً وموتاً بالرغم من حبه لها ووصله إياها وبذله كل غالٍ وثمين لأجل حبها فهو البذال الذى يتمنى أن ترضى عنه . وللمجاز دلالته التى تعكس سوء حالة عمر الصحية كما يعكس المجاز تردى وتدهور حالته النفسية فهو الحى الميت المقتول حى لنبض قلبه ، وميت مقتول لبعدها عنه وهجرها له. أما عن القسم فى البيت الأول فيدل على صدق قوله ، وسوء حاله حتى يحن قلبها وتصله وتصدق؛ لأنه أقسم بقسم عظيم "باللّه" يؤثر فى السماع ويقنعه بصدق الحديث .

يبرز المجاز فى البيت الثانى جرم المحبوبة وظلمها كما يعكس أن عمر مظلوم معها لأنه يظهر المحبوبة قتالة للرجال فكثيراً ما قتلت رجالاً ببعدها عنهم، وهجرها لهم وعمر ضحية من ضحاياها.

ويصبغ القسم "لعمرى" حديث عمر بصبغة الصدق مما يؤكد ظلم المحبوبة لعمر وتأصل قتل الرجال فى نفسها ، فهى محترفة فى هذا الجانب ويعكس هذا مدى الظلم الواقع على عمر.

ثالثاً الكناية:

اعتمد عمر على الكناية فى جملة القسم للتعبير عما يشعر به تجاه محبوباته ومن أمثلة ذلك قوله :

فَأَنْتِ، وَبَيْتِ اللّهِ ، هَمِّى وَمُنْيَتِى وَكُبْرُ مُنَانَا من فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ ٧٤ب/٣

تظهر الكناية فى قوله "من فصيح وأعجم" أن المحبوبة وحدها هى التى دق لها قلبه، وتحركت لأجلها مشاعره، ودخلت دائرة اهتمامه وحدها دون نساء الأرض كلهم العربيات منهن أو الأعجميات.

أما القسم بـ "بيت الله" فيدل على صدق حديثه، ومن ثم صدق حبه لها، وعشقه إياها.

المبالغة: وردت المبالغة فى جملة القسم عند عمر وذلك كقوله : -

وَأُقْسِمُ لَوْ حَلَمْتُ بِهَجْرِ هِنْدٍ لَضَاقَ بِهَجْرِهَا فِى النَّوْمِ دَرْعِى

٥/٧٠

أحب الشاعر "هنداً" حباً شديداً ، وقد تغلغل الحب فى قلبه ولذا فهو لا يطيق فراقها ولا يصبر على هجرها، ويعبر عمر عن ذلك المعنى بأنه لو حلم لمجرد الحلم بهجر هند لأتعب الهجر قلبه ولرفض العقل الفراق فى حينه . وأخيراً يسير عمر بن أبى ربيعة على عادة العرب فى التأكيد على ما يقولون، وفى الإسلام جلَّب الأقسام بالله، وبالأماكن المقدسة محل ما كانوا يحلفون به فى الجاهلية ثم يأتى عمر ليوظف القسم فى الغزل فيجعل منه شيئاً خطيراً فى الحياة يحتاج إلى المواثيق الغليظة بينما هو شاعر من زمرة الذين يقولون مالا يفعلون، وإنهم فى كل واد يهيمون.

ونحن نصدقه، بل نحب له أن يفعل ذلك حتى نشعر معه أنه كان جاداً فى هذا الحب الذى شغل نفسه، وشغلنا به.

سادساً: جملة النفى:

(نَفَى) الشىء نفياً: نَحَّاه وأبعده.

ويقال : نفى الخبر: أنكره، نافاه: عارضه وباينه، انتفى الشىء: لم يثبت تنافت الأحكام أو الآراء: تعارضت وتباينت، (المنفى) مكان النفى والجمع

مَنَاف ،(النفايـــة): مـا أبعـد مـن الشيء لرداءتـه ، وبقيـه الشيء ، النفـــى: خلاف الإثبات".[1]

وجملة النفى التى أهتم بها تلك الجملة التى ورد فيها خبر منفى سواءً أكان النفى بحرف من حروف النفى مثل لا النافية أو بالفعل الناسخ ليس أوبـ " لم" الجازمة أوبـ " لا " النافية للجنس، أوبـ " لا النافية ".

وقد وردت جملة النفى فى شعر عمر فى عشرين بيتاً من الشعر، أما عن أدوات النفى الواردة فى شعر عمر فهى ما [2]، ليس[3]، لا النافية [4]، ولم الجازمة [5] وقد اعتمد عمر فى جملة النفى على الجملة الفعلية [6].

نفى ابن أبى ربيعة ليثبت لمحبوبته أنه لم يرتكب إثماً يغضبها ، وأنه لم يخنها وينسى عهدها، وأنه لم يقل حبها بل إن الحب زاد فى قلبه ..... إلخ .

ثانياً توظيف جملة النفى فنياً :

أولاً جملة النفى والتراكيب : ورد الاستفهام فى جملة النفى عند عمر ، ومن ذلك قوله :

وَمَـــا أنْـــسَى لاَ أنْـــسَى مِـــنْ قَوْلِهَـــا غَـــدَاةَ مِنَـــىً إذْ أجْـــدَ الْمَـــسِيرُ

أَلَـــمْ تَـــرَ أَنَـــكَ مُسْتَـــشْهَدٌ وَأَنَّ عَـــدُوَّكَ حَوْلِـــى كَـــثِيرُ ٤/١٧

اعتمد عمر على أسلوب النفى فى البيت الأول فى قوله "ومـا أنـس" وقوله " لا أنـسى" فى توكيد تذكره ما قالت محبوبته عند رحيلها. أما الاستفهام فى البيت

---

(١) المعجم الوجيز ط ١٩٩٤ م ، ص ٦٩٢ ، الطبعة الأولى ١٩٨١ مطابع التحرير للطبع والنشر .
(٢) من أمثلة النفى بما ١٢/٩ ، ٣/١٢ ، ١٤/٩١ وغيرها .
(٣) من أمثلة النفى بـ "ليس" ٨/٦١ ــ ٩ ، ٥/٦٦ .
(٤) من أمثلة النفى بـ "لا النافية" ١٥/٨ ، ٨/٦٨ .
(٥) من أمثلة لم الجازمة ٥/٢١ ، ٥/١٨٩ ، ٩/١٣٢ .
(٦) من أمثلة النفى بالجملة الفعلية: ٥/٢١، ٥/٦٨، ١٤/٩١، ١٢/٩، وغيرها. استخدم عمر فى النفى معتمدا على الجملة الاسمية مثل ٩/٦١، ٥/٦٦.

الثانى فيدل على تعجب المحبوبة ودهشتها من صنيع عمر، لأنه جاء ليودعها فى وجود أهلها ووجود الرقباء الذين يراقبون الموقف.

ثانياً الكناية :

من أمثلة الكناية الواردة ضمن جملة الشرط قوله:

مَا كَانَتِ الدَّارُ بالتِّلاَعِ وَلاَ الأَجْرَعِ ، لَوْلاَ الْقَتُولُ ، مِنْ وَطَنِى

٩/١٣٧

يعبر عمر عن حبه لمحبوبته " القتول" بحبه لديارها الواقعة "بالتلاع " و"الأجرع" والشاعر يحب هذه الديار ويحب المكان التى تقع فيه لا لشيء إلا لأنها ديار القتول ومكان إقامة القتول.

والبيت كناية عن حبه الشديد للمحبوبة فلأجلها أحب الدار ولأجلها أحب المكان كله، وعمر يعتمد على أسلوب النفى بـ " ما" للوصول إلى الكناية حيث ينفى عمر حبه للديار والمكان الذى تعيش فيه المحبوبة إلا لأجل القتول.

ومن الأمثلة الأخرى قوله :

وَلَيْسَ بِحُبٍّ غَيْرِ حُبِّيكِ لَذَّةٌ (١) وَلَسْتُ لِشَخْصٍ بَعْدَ شَخْصِكِ أَجْزَعُ

٨/٦١

فى البيت كنايتان الأولى فى الشطر الأول : "ليس بحب غير حبيك لذة "فالشاعر لا يسعد إلا بحب "هند"، ولا يدق قلبه إلا لها وحدها. وهذه كناية عن حبه الشديد لها وتعلقه بها والكناية الثانية هى " ولست لشخص بعد شخصك أجزع " فعمر لا يتحرك، ولا يهرع ولا يقلق إلا إذا أصاب القتول ما يُقْلِقُ.

وهذه كناية عن حبها المتأجج.

---

(١) من أمثلة الكناية فى شعر عمر ٩/١٣٢، ١٢/٩، ٣/١٣٢، ٣/٢٣٠ وغيرها.

أما النفى فى الشطر الأول "وليس بحب غير حبيك لـذة " فقد قصر سعادته على حبها وحدها وكذلك النفى فى الشطر الثانى قصر خوفه وقلقه عليها وحدها دون غيرها من البشر.

ثالثاً المجاز :-

اعتمد عمر على المجاز فى إظهار مشاعره وأحاسيسه وذلك مثل قوله :

لم يُخْطِ سَهْمُكِ إذْ رَمَيْتِ مَقَاتِلِى وَتَطِيشُ عَنْكِ إذَا رَمَيْتُكِ أسْهُمِى[1] ٩/٩١

نظرة عثيمة إلى عمر نظرة لها مفعول السحر على نفسه، لأن هذه النظرة تصيب قلبه فتجعله أسيراً لها، هذا هو المثير الذى حرك مشاعر عمر فجاءت الاستجابة سريعة وهى أن النظرات أصبحت سهاماً تصيب عمر فى قلبه وتكاد تقتله، وتجعله صريعاً فى هوى عثيمة فكل نظرة هى سهم نافذ إلى قلبه ومشاعره، وهو لا يدرى ماذا يصنع ليصد هجوم نظراتها وهذا دليل على قوة تأثير المحبوبة على قلبه.

أما سهام عمر فلا تصل إلى محبوبته وهذا يعكس حاله معها فهو لا يحظى عندها بما تحظى عنده .

ويفيد النفى بـ "لم" وصول جميع سهامها إلى قلبه وهذا يعكس حبه لها ، وهيامه بها .

رابعاً دلالة النهى :-

يعرف د. منير سلطان النهى فيقول :

"النهى: أمر بالامتناع، مَنْعٌ عن الأداء، صَدٌّ، وَقْفٌ. النهى فيه قوة حاسمة، تتجلى فى الناهى إذا نَهىَ.

---

(١) من أمثلة المجاز ١٠٦ /٦ ، ٥/٦٨ ، ٨/ ٦٨

"أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ....."
(العلق :٩-١٠)

الناهى قادر على إيقاف فعل، مالكٌ للعقاب إذا لم يَستجِب المنهى. يَنْهَى الله سبحانه:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)
(الحجرات/١٧)

وينهى (وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا)
(الإسراء/٣٢)

وهو سبحانه قادر على العقاب، والإنسان ينهى من هو دونه ليخضَعَ ويستجيب للنهى ، مهما كان الأمر مخالفاً لهواه، وهنا تكمن قوة النهى والناهى. والتركيب اللغوى الوحيد للنهى هو لا الناهية التى تسبق الفعل المضارع".(١)

ويتابع د. منير حديثه عن النهى فى الشعر فيقول: "أما الشاعر فَيَنْهَى ينهى نفسه وينهى الآخرين، وينهى ما لا يعقل معنى النهى. وهو فى كل هذا فنان غير قاصد منعاً، ولا صَدّاً، وغير مُلْزِم أحداً. يصوغ فكرته فى أسلوب من النهى. يقصد من ورائه النصح ، أو العتاب أو الإعجاب، أو يقصد تصوير الألم، أو تضخيم الألم أو يقصد أو يقصد .....إلى آخر ما يقصد، وقد خرج بالنهى عن مقتضى الظاهر الجاد الملزم إلى آفاق أُخَرَ آفاق تحكمها طبيعة الموضوع أو النسيج النفسى الذى يحركها، أو التوازن الفنى الذى

(١) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام ، د.منير سلطان ص ٣٢٩/١.

تريد أن تحققه. وجمال النهى فى الشعر يكمن فيما وقع عليه النهى، فيما وقع عليه المنع والصد، فيما حكم عليه بالإيقاف، خارجاً عن مقتضى الظاهر".(١)

وقد نَهَى عمر فى شعره، نَهَى محبوبته أن تُنْصِتَ لحديث الوشاة الذين يأملون قطع أَوَاصِرِ الحب بينهما ونَهَاهَا أن تهجره، وتَبْتَعِدَ عنه. كما نَهَى صديقه ابن أبى عتيق عن لومه فى حب سعدى – محبوبته – لأنه لا يملك صَدَّ هذا الحبِ. وقد ورد النهى فى شعر ابن أبى ربيعة فى عشرة أبيات تقريباً.

ويقول الشاعر ناهياً محبوبته عن تصديق حديث الوشاة:

قُلْـــتُ: لاَ تُـــصْرِمِي لتكـــثيرواشٍ كَـــاذِبٍ فـــى اَلحْـــدِيثِ واَلأَخْبَـــارِ

لاَ تُطِيعِـــى، فَـــإِنِنِى لَـــم أُطِعْـــه أَنْـــتِ أَهْـوَى الأحبـاب والأَجْـوَار ٤/٢١

وقد خرج النهى فى البيت السابق إلى الرجاء والأمل، فالشاعر يرجو محبوبته أن تصله، ويأمل فى ذلك حيث علل الشاعر لنهيه فى سببين.

أولهما: أنه لم يطع الواشى.

وثانيهما: أن محبوبته بالنسبة له هى أحب الأحباب وأفضل الأحوار.

كما نهى الشاعر محبوبته أن تبتعد عنه فقال:

لاَ يَكُـــنْ اَلْبُخْـــلُ لِـــى وَجْـــودُكُمُ يَوْمـــاً لِغَيْـــرِى وَأَنْـــتُمُ شَـــجَنِى ٨/١٣٨

ويعاتب عمر – فى البيت – محبوبته معتمداً على النهى مقرراً أنه لا يجب عليها أن تضن بوصالها عليه، وتعطيه لآخر، ذلك لأن بعادها قد يسبب له الحزن والألم.

ويقول عمر ناهياً ابن أبى عتيق – صديقه – عن لومه فى حب سعدى:

لاَ تَلُمْنِـــى يـــا عَتِيـــقُ حَـــسْبِى الَّـــذِى بـــى إِنَّ بِـــى يَـــا عَتِيـــقُ مـــا قَـــدْ كَفَـــانِى

لاَ تَلُمْنِـــى وَأَنْـــتَ رَيْنْتهـــاَ لِـــى أَنْـــتَ مِثْـــلُ اَلـــشَيْطَانِ لِلإِنْـــسَانِ ٣/١٣١

---

(١) السابق ص ٣٢٩.

أعتقد أن النهى فى البيت الثانى قد خرج عن مقتضى الظاهر إلى التأنيب واللوم فالشاعر يدعو ابن أبى عتيق أن يكف عن لومه ويتوجه إليه بالتأنيب قائلاً:

لقد زينتها لى من قبلُ ثم تلومنى الآن، ويأتى التشبيه موضحاً موقف ابن أبى عتيق مع عمر فهو مثل الشيطان يأمر بالفعل ثم يتنحى عنه بعد ذلك. وقد نهى عمر فى شعره، نهى محبوبته أن تُنْصِت لحديث الوشاة الذى يأملون قطع أواصر الحب بينهما ونهاها أن تهجره، وتبتعد عنه، كما نهى صديقه عتيق عن لومه فى حب سعدى – محبوبته لأنه لا يمتلك صَدَّ هذا الحب.

وبقول عمر:

لاَ تَرْحَلِينِى[1] بِـذَنْبِ أَنْـتِ صَـاحِبُه ... وَصِـادِقِينِى صَـفَاء الـوُدِّ واسْـمِعِى

لاَ تَـسْمَعِنَّ بِنَـا قَـوْلَ الْوُشَـاةِ، وَمَـنْ ... يُطِعْ مَقَالَةَ واشٍ كَاشِحٍ يَضِعِ ٢/٦٦

يعتمد عمر على أسلوب النهى فى البيتين السابقين فى قولـه : "لا ترحلينى" و"لاتسمعن" فى وصل ما انقطع من صلات بينه وبين محبوبته.

○ توظيف جملة النهى فنياً:-

• **أولاً التصوير:-** (١) **التشبيه:** ورد التشبيه مُتضَمَّناً فى جملة الشرط فى بيت واحد هو قوله ناهياً عتيق – صديقه – عن لومه فى حب سعدى:

لاَ تَلُمْنِـى يـا عَتِيـقُ حَـسْبِى الَّـذِى بِـى ... إِنَّ بِـى يَـا عَتِيـقُ مـا قَـدْ كَفَـانِى

لاَ تَلُمْنِـــى وَأَنْـــتَ زَيَّنْتَهـــا لِـــى ... أَنْـتَ مِثْـلُ الـشَّيْطَانِ لِلإِنْـسَانِ ٢/١٢١

يدعو الشاعر عتيق أن يكف عن لومه وألا يتوجه إليه بالتأنيب قائلاً:

---

(١) ترحلينى: هكذا هو فى الأصول كلها بالراء والحاء المهملتين، فإن صحت فالمراد لا تجعلى على ذنبا لم أجنه، وقد تكون هذه الكلمة مصحفة عن "لا تزجلينى" بالزاى والجيم ومعناه لا ترمينى تقول "زجل فلان الشيء يزجله" من باب نصر إذا رماه ، الديوان ص ١٩١ .

لقد زينتها لى من قبلُ ثم تلومنى الآن. ويجئ التشبيه موضحاً موقف ابن أبى عتيق مع عمر فهو مثل الشيطان الذى يأمر صاحبه بالفعل ثم يتنحى عنه بعد ذلك.

ثانياً الكناية:- وردت الكناية فى جملة النهى فى بيت واحد هو قوله:

لاَ تُلْمْنِى فى اشْتِيَاقِى إِلِيهَا ... وَابْكِ لِى مِمَّا تُحِنُّ الضُّلُوعُ [1] ٧/٧٣

ينهى عمر ابن أبى عتيق عن لومه فى شوقه لـ "سلمى" وحبه لها ويأمره أن يبكى على الهم والألم الذى يحملهما عمر داخل ضلوعه. والكناية – قابعة فى الأمر فى الشطر الثانى وهى كنايه عن حب الشاعر لسليمى وتعليقه بها وشوقه إليها.

○ثانياً فنون، بلاغة أخرى تضمنتها جملة النهى :

من الفنون ، البلاغية الواردة فى جملة النهى فن التعليل، وفن المبالغة ومن أمثلة فن التعليل قوله ناهياً محبوبته عن تصديق حديث الوشاة :

قُلْتُ لاَ تَحْرِمِى لتكثيرِ وَاشٍ ... كَاذِبٍ فِى الْحَدِيثِ والأَخْبَارِ

لاَ تُطِيعِىْ ؛ فَإِنَّنِى لَم أُطِعْهُ ... أَنْتِ أَهْوَى الأحبابِ والأَجْوارِ ٤/٢١

علل الشاعر نهيه لمحبوبته بعدم قطع صلات الحب بينهما بأمرين:

أولهما : أنه لم يطع الواشى الذى أراد إفساد علاقتهما .

وثانيهما : أن محبوبته بالنسبة له هى أحب الأحباب وأفضل الأجوار.

وقد اعتمد الشاعر على النهى فى الوصول إلى المبالغة ليعبر عن مدى عشقه لمحبوبته "هند" وذلك فى قوله:

فَلاَ تَحْرِمِى نَفْساً عَلَيكِ مَضِيقَةً ... وَقَدْ كَرِيَتْ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ تَطْلَعُ

---

(١) تُحِنّ: تخفى وتكتم الديوان ص١٩٩ .

ينهى عمر محبوبته "هنـد" عن هجره وفراقه، ويرجوها أن تصله، وألا تحرمه لقاءها، ذلك لأن نفس الشاعر كادت أن تخرج ثائرةً على موقفها معه، مفارقة جسده إلى غير رجعة اعتراضاً على هجرها له.

وتظهر المبالغة مدى حب الشاعر لمحبوبته وحرصه الشديد عليها ووفائه لها.

وأخيراً هذا هو عمر الذى اعتمد على النهى ليحب ، فهو ينهى ليحب ، ويحب لينهى ، ويوظف كل التراكيب الممكنة فى بيان هذا النهى، يشبه، ويشترط، ويتعجب ويُكَنِّى، وهو يقصد من وراء ذلك قُرْب المحبوبة، وخوفه من بعدها عنه، ومن عيون الناس عليها، ثم هو ينهى نفسه عن عدم ترك لحظة تضيع دون أن يراها وهكذا.

أدوات فنية بلاغية وظفها عمر ليقدم لنا صُوَره الفنية الممتعة.

ثامناً جملة التعجب :

"عجب: العُجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يَرِدُ عليك لقِلَّةِ اعْتِيادِه ، وجمع العَجَبِ :

أَعْجابٌ ..... وقد عَجِبَ منه يَعْجَبُ عَجَباً وتَعَجَّباً ، واسْتَعْجَبَ ..... والاسْتِعْجابُ : شدة التَّعَجُّبِ . وفى النوادر: تَعَجَّبنِى فلانٌ وتَفَنَّنَنى أى تَحَبَّبَنِى؛ والاسم العَجيبةُ والأُعْجُوبة" (١).

والتَّعَجُّبُ: "شعور داخلى تنفعل به النفس حين تستعظم أمراً نادراً أولا مثيل له مجهول السبب أوخفى السبب، ولا يتحقق التعجب إلا باجتماع هذه الأشياء كلها" (٢).

---

(١) لسان العرب ابن منظور المجلد التاسع ص ٥١ تحقيق على شيرى دار إحياء التراث العربى ، مؤسسة التاريخ العربى، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٩٢، ١٤١٢هـ.

(٢) النحو الوافى عباس حسن ص ٣٣٩ جـ ٣ ط التاسعة دار المعارف

"ومادة الكلمة تعبر عن الشعور الخاص حيال الغائب فى الحسن أو الفائت فى القبح، وقد يحمل هذا الشعور فى طياته دهشة أو سخرية أو نفوراً أو ألماً بدرجة تفوق الشعور بهذا أمام العادى من الأمور مما يوضحه السياق".(١)

وللتعجب أساليب كثيرة تنحصر فى نوعين: أحدهما مطلق؛ لا تحديد له ولا ضابط؟ وإنما يترك لمقدرة المتكلم ومنزلته البلاغية، ويفهم بالقرنية.

والآخر: "اصطلاحى"، أو"قياسى" مضبوط بضوابط وقواعد محدودة، ولا تكاد تختلف فى استعماله أقدار المتكلمين

ومن أمثلة الأول: "لله دَرّ فلان" ..... ومنها "بالك، أو باله، أو بالى"..... ومنها كلمة "عَجِبَ " مصدراً ومشتقاته".

ومنها الاستفهام المقصود منه التعجب كقوله تعالى:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾؟

(البقرة:٢٨)

" ..... "ومنها سبحان الله" التى تصاحبها قرنية تدل على أن المقصود منها التعجب، إلى غير ذلك من كل لفظ يدل على التعجب، ونفهم منه هذه الدلالة بقرينة من غير أن يكون من النوع "الاصطلاحى" "القياسى".(٢)

أما النوع " الاصطلاحى" أو "القياس"، فصيغتان "ما أفعله"، و" أفعل به "وهذان وزنان يستعملان عند إرادة التعجب من شيء تنفعل به النفس على وجهه

---

(١) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام - ص ٢٢١.
(٢) النحو الوافى ص ٣٣٩ .

الذى شرحناه، فعند التعجب من الجمال الباهر – مثلاً- أو الضخامة البالغة أو القصر المتناهى ..... أو غيره ..... تأتى بأحد أسلوبين قياسيين.(١)

" وقد تعجب عمر خمس مرات على صفحات ديوانه وكان تعجبه من النوع غير الاصطلاحى فى المرات الخمس .

يقول عمر:

مَالِى أرَى حُبَّ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... بِى يَزِيدُ وَحُبُّكُمْ يَتَجَدَّدُ ٢/١٥٦

عِنْيبدأ ابن أبى ربيعة بيته متعجباً من حبه المتاجج لمحبوبته "أم الوليد" ذلك الحب الذى يزداد، ويلتهب، ويملأ قلبه، أما حبه لأى إنسان على وجه الأرض فمن السهل أن يندثر وينتهى بكل بساطة وسهولة.

ويعطى التعجب دلالة هى تغلغل حب المحبوبة داخل قلب عمر، وتمكن هذا الحب من مشاعره وأحاسيسه، وزيادة الحب يوماً بعد يوم، دليل ذلك أن عمر أوضح أن حب البشر بأسرهم يبيد عنده ، أما حب "أم الوليد " فهو متجدد .

ويقول عمر فى بيت آخر:

فَيَالَكَ مِن لَيلٍ تَقَاصَرَ طُولُهُ ... وَمَا كَانَ لَيْلِى قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ(٢)

٣٦/١

يتعجب عمر من قصر ليلته التى قضاها مع "نعم" داخل خبائها حيث نَعِمَ بما أراد، وأُعْطِىَ ما اشتهى .

ويظهر عمر عجبه من انقضاء هذه الليلة سريعاً لأنه تعود أن يقضى ليلة أرقاً ساهراً لا يغمض جفنه ، وفى ذلك دليل على سعادته وسروره بتلك الليلة الهانئة القصيرة فهو لم يشعر بالوقت لأنه فرح سعيد بلقاء "نعم" .

---

(١)السابق ص ٣٤٠ .

(٢) من أمثلة جملة التعجب عند عمر : ١/٣٧، ٢/١١، ٧/٣.

لقد جعلنا عمر نعيش تجربته ، ونصدق معاناته ، ونشقى لعذابه ، ونفرح لاقتراب أحبابه ، وهو يتعجب تعجباً فيه ذكاء ومكر وبراءة ، وإخلاص ، وفيه اندفاع المحب الذى لا يألو جهداً فى سبيل إرضاء المحبوبة . هكذا تفعل بلاغة العبارة فى النفوس المهيأة للتجارب وفن القول ولا سيما حين يكون هذا القول غزلاً ومن عمر بن أبى ربيعة .

تاسعاً : تحليل الجملة الخبرية الفنية

من خلال نص "بِاسْمِ الإلـهِ تَحِيَّـةٌ لِمُتَيَّـمِ "

أولاً : نص القصيدة

بِاسْـــمِ الإلـــهِ تَحِيَّـــةٌ لِمُتَيَّـــمِ ... تُهـدَى إلَـى حَـسَنِ الْقَـوَامِ مُكَـرَّمِ

وَصَـــحِيفَةٌ ضَمَّنْتُهـــا بِأَمَانَـــةٍ ... عِنْـدَ الرَّحِيـــلِ إلَيْـكِ أمَّ الْهَيْثَـــمِ

فِيهـــا التَّحِيَّـــةُ وَالـــسَّلامُ وَرَحْمَـــةٌ ... حَـفَّ الدُّمُـوعُ كِتَابَهَـا بِالْمُعْجَـمِ (١)

مِـــنْ عَاشِـــقٍ كلـــفٍ يَبُـــوءُ بِذَنْبِـــهِ ... صَـبٍّ الْفُـؤَادِ مُعَاقَـبٍ لَـمْ يَظْلِـمِ (٢)

بَـادِى الـصَّبَابَةِ قَـدْ دَهَبْـتِ بِعَقْلِـهِ ... كَلِـفٍ بِحُبِّـكِ يَاعُثَيْـمُ مُتَيَّـمِ (٣)

يَـــشْكُو إلَيْـــكِ بِعَبْـــرَةٍ وَبِعَوْلَـــةٍ ... وَيَقُـولُ : أمْـا إنْ مَلَكْـتِ فَأَنْعِمِـى (٤)

لاَ تَقْتُلِنِـــى يَـــاعُثَيْمُ ، فَإِنَّنِـــى ... أخْشَى عَلَيْكِ عِقَـابَ رَبِّكِ فى دَمِى

إنْ لَـــمْ يَكُـــنْ لَـــكِ رَحْمَـــةٌ وَتَعَطُّـــفٌ ... فَتَحَرَّجِـى مِـنْ قَتْلِنَـا أنْ تَأْثَمِـى (٥)

---

(١) حف: أحاط والمعجم هنا: الذى لا يظهر من الكتابة، يريد أن الدموع قد كتبت هذه الرحمة فى هذا الكتاب بما لا يقرأ من الحروف، ولكن بما تستشعر هى به عند قراءة هذا الكلام الصادر عن القلب، الديوان ص ٢٢٨.

(٢) كلف: شديد العشق، ويبوء بذنبه: يعترف به، وصب الفؤاد: أى فؤاده ذو صبابة وهوى، ومعاقب لم يظلم: وقع عليه العقاب، بالصدود والهجران، من غير أن يجنى ذنبا أو يقترف إثما الديوان ص ٢٢٩.

(٣) بادى الصبابة: ظاهرها، ياعثيم: أراد يا عثيمة، فحذف التاء للترخيم الديوان ص ٢٢٩.

(٤) العبرة- بالفتح- الدمعة، والعولة -بالفتح أيضا-البكاء، و"أما إذ ملكت فأنعمى" هكذا وقع فى الأصول كلها من الملال، وكأنه يقول: ليكن هجرك فى غير تجن ولا بغض، وليكن بالدلال وندوه مما لا يعظم على النفس احتماله، ولعل أصل العبارة "أما إذ ملكت فأنعمى" وانظر شرح البيت ١٥ من القطعة ٩٠ الديوان ص ٢٢٩.

(٥) تحرجى: حرفيته عندى ما تأتيه معى من الصد والهجران حرجا، والحرج بالتحريك – أصله الضيق، ويراد منه الإثم، وإذا رأت ذلك إنما كفت عنه وتركته، ولهذا يقولون "تحرج فلان" وهم يريدون كف عما يكون سببا فى الإثم ونظيره قولهم: تأثم، وتحوب، وتحنث، و"أن تأثمى" هو بفتح الهمزة على أن "أن" مصدرية، وقد حذف حرف الجر وأصل الكلام "تحرجى من أن تأثمى" أى تفعلى معى ما يوجب عليك الإثم، وضبط فى أ بهمزة تحت ألف "إن" على أنه حرف شرط وليس بذاك الديوان ص ٢٣٠

لم يُخْطِ سَهْمُكِ إذْ رَمَيْتِ مَقَاتِلِي ... وَتَطِيشُ عَنْكِ إذَا رَمَيْتُكِ أسْهُمِي (١)

وَوَجَدْتُ حَوْضَ الْحُبِّ حِينَ وَرَدْتُهُ ... مُرَّ الْمَذَاقَةِ طَعْمُهُ كَالْعَلْقَمِ (٢)

لاَ وَالَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ... بِالنُّورِ وَالإِسْلاَمِ دِينِ الْقَيِّمِ

وَبِمَا أَهَلَّ بِهِ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا ... عِنْدَ الْمَقَامِ وَرُكْنِ بَيْتِ الْمَحْرَمِ

وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى الْمُبَارَكِ حَوْلَهُ ... وَالطُّورِ، حَلْفَةَ صَادِقٍ لَمْ يَأْثَمِ

مَا حُلْتُ عَهْدَكِ يَا عُثَيْمَ، وَلاَ هَفَا ... قَلْبِي إِلَى وَصْلٍ لِغَيْرِكِ فَاعْلَمِي (٣)

فُكِّي أَسِيراً يَا عُثَيْمَ؛ فَإِنَّهُ ... خَلَطَ الْحَيَاءَ بِعِفَّةٍ وَتَكَرُّمِ

وَرَعَى الأَمَانَةَ فِي الْمَغِيبِ، وَلَمْ يَخُنْ ... غَيْبَ الصَّدِيقِ، وَذَاكَ فِعْلُ الْمُسْلِمِ

أَخْلَصْتُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ مَعْدُودَةٍ ... وَثَلاَثَةٌ مِنْ بَعْدِهَا لَمْ تُوهَمِ (٤)

هِنْدِي ثَمَانِيَةٌ تُهِلُّ وَتَنْقَضِي ... عَالَجْتُ فِيهَا سُقْمَ صَبٍّ مُغْرَمِ (٥)

مَكَثَ الرَّسُولُ لَدَيْكُمُ، حَتَّى إِذَا ... قَدِمَ الرَّسُولُ، وَلَيْتَهُ لَمْ يَقْدَمِ

لَمْ يَأْتِنِي لَكُمْ بِخَطِّ وَاحِدٍ ... يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِيَ الْمُتَقَسِّمِ (٦)

---

(١) لم يخط: أصله لم يخطئ – بهمزة في آخره – فقلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم عامل هذه الياء معاملة الياء الأصلية فحذفها للجزم، وتقول "طاش سهم فلان" إذا لم يصب مرماه، وأراد بسهامها التي أصابته نحو لحظاتها مما تأسر به قلب عاشقها، وأراد بسهامه التي لا تصيبها نحو خضوعه لها ووصفه ما يكابده في هواها مما يستجلب به حبها، يقول: إنك إذا وجهت سهامك إلى لم تخطئ، فأما أنا إذا وجهت إليك سهامي فإنها تتجاوزك ولا تصيبك، وانظر البيت ٦ من ١٠٩ الديوان ص ٢٣٠.

(٢) أصل الحوض بناء يعد لكي يملأ ماء يرده من أراد أن يشرب من إنسان أو حيوان، وورد الماء: أتاه ليستقي وقد جعل الحب ماء على التشبيه، ثم جعل لهذا الماء حوضاً. يقول: إنني وجدت الحب مر المذاق لا يكاد يستسيغه من ورده الديوان ص ٢٣٠.

(٣) هفا قلبي: أصله قولهم "هفا الظبي يهفو هفوا" أي خف واشتد عدوه، وقولهم "هفا الطائر بجناحيه" أي خفق وطار، وربما قالوا في المصدر "هفاء" قال: أولئك ما أبتغين لي من مروءتي هفاء، ولا البسني ثوب لاعب الديوان ص ٢٣٠

(٤) لم توهم: لم تقع تحت وهم الواهم، والوهم: إدراك وخطرة للقلب تقتضي تخيله وتمثله، سواء أكان له وجود أم لم يكن، ويقال: توهمت الشيء، وتفرسته، وتوسمته وتبينه، كل ذلك بمعنى واحد، قال عنترة بن شداد العبسي:

فهلا عرفت الدار بعد توهمي

أراد عمر ثلاثة أشهر مرت عليه من غير أن يعرف ما جرى لها فيها، ووقع في ب "لم ترهم" تحريف، و"معدودة" بالجر وصف لأشهر كما وصف عنترة المعدود في قوله:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

و"ثلاثة" بالنصب معطوف على "خمسة" وضبطه في ا بالرفع، ويخرج على أنه مبتدأ خبره "لم توهم" الديوان ص ٢٣٠.

(٥) أهل الشهر: أي طلع هلاله، وذلك عند مبدأ الشهر، فالمعنى اللازم لأهل بدأ، وقالوا "أهل فلان الشهر" يريدون انه استطلع هلاله، والسقم – بالضم هنا، ويأتي بالتحريك – المرض، والصب – بالفتح – العاشق الديوان ص ٢٣٠.

(٦) الغليل: أصله حرارة الجوف من عشق أو عطش أو غيرهما، والفؤاد المتقسم: الذي قسمه الحب أقساما، وانظر شرح البيت ١ من القطعة ٧٤، والبيت ١١ من ٩٠ الديوان ص ٢٣١.

وَحَرَّمْتِنِـــي رَدَّ الـــسَّلاَمِ ، وَمـــا أَرَى ... رَدَّ الـسَّلاَمِ عَلَـى الْكَـرِيمِ بِمَحْـرَمِ[1]

إِنْ كُنْـتِ عَاتِبَـةً عَلَـيَّ فَأَهْـلُ مـــا ... أَنْ تُعْتِبِـي فِيمَـا عَتَبْـتِ وَتُكْرِمِـي[2]

أَنْـتِ الْأَمِـيرَةُ فَاسْمَـعِي لِمَقَـالَتِي ... وَتَفَهَّمِـي مِـنْ بَعْـضِ مَـا لَـمْ تَفْهَمِـي

إِنِّـي أَتُـوبُ إِلَيْـكِ تَوْبَـةَ مُـذْنِبٍ ... يَخْـشَى الْعُقُـوبَةَ مِـنْ مَلِيـكٍ مُـنْعِمِ

حَتَّـى أَنَـالَ رِضَـاكِ حَيْـثُ عَلِمْتُـهُ ... بِطَـرِيفِ مَالِـي وَالْتِلِيـدِ الْأَقْـدَمِ[3]

وَأَعُـوذُ مِنْـكِ بِـكِ الْعَـدَاةَ لِتَـصْفَحِي ... عَمَّـا جَنَيْتُ مِنَ الذُّنُوبِ فَتَرْحَمِي[4]

إِنْ تَقْبَلِـي عُـذْرِي فَلَـسْتُ بِعَـائِدٍ ... حَتَّى تُغَادِرَ فِي الْمَقَابِرِ أَعْظُمِي[5]

لَـوْ كَفَّـيَ الْيُمْنَـى سَـاءَتْكِ قَطَعْتُهَـا ... وَلَدُقْـتُ بَعْدَ رِضَـاكِ عَيْشَ الْأَحْذَمِ[6]

ف رقم ٩١ ص ٢٢٨ وما بعدها

ثانياً نظرة عامة على القصيدة:-

هذه القصيدة رسالة غرامية من ابن أبي ربيعة لمحبوبته عتيمة في ثمانية وعشرين بيتاً ، وهي تبدأ بالتحية باسم الله وإلقاء السلام والرحمة على المحبوبة ثم يظهر عمر مشاعره المتأججة نحو محبوبته ، لأنه عاشق شديد العشق ، وهو يعترف بذنبه إنْ

---

(١) حرمتني: منعتني، ومحرم: أي ممنوع ومحظور الديوان ص ٢٣١.

(٢) "ما" في قوله "فأهل ما" زائدة ، وكان عليه أن ينون كلمة "أهل" وكأنه أضاف كلمة "أهل" إلى المصدر المنسبك من "أن" المصدرية وما بعدها وفصل بما بين المضاف والمضاف إليه ، يقول : إن كان صدودك ناشئا عن شئ استوجب به عتابك فأنت أهل العتاب والإكرام الديوان ص ٢٣١

(٣) المال الطريف : الذي استحدثته أنت ، والتليد : الذي ورثته عن آبائك الديوان ص ٢٣١.

(٤) أعوذ منك بك : أي ألجأ إليك مخافة من غضبك لتضربني صفحا عما اقترفت من الذنوب الديوان ص ٢٣١.

(٥) غادر الشيء : تركه ، يقول : إن تفضلت فقبلت عذري فإن اتعهد لك ألا أعود إلى الذنب مرة أخرى ما دمت حيا الديوان ص ٢٣١.

(٦) ساءتك : أصله ساءتك ، فحذف الهمزة بقلبها ألفا لكونها مفتوحة ، فاجتمع ألفان ، فحذف إحداهما ، والأجذم : الذي أصيب بالجذام ، وقوله "بعد رضاك" يريد بعد ذهاب رضاك ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ارتكانا على انفهام المعنى ، يقول : لو أن كفي اليمنى أساءت إليك – وهي الكف التي بها العمل كله – لبادرت بقطع هذه الكف ولحييت حياة منغصة كحياة الذي أصيب بالجذام الديوان ص ٢٣٢.

أخطأ فى حقها دون قصد أو تعمد ويقسم عمر بأغلظ الأيمان أنه لم يخن لها عهداً، ولم يتحول عن حبها . ويلح عمر إلحاحاً شديداً ليصل ما انقطع من صلات الحب بينها .

ثالثاً : توظيف الجملة فى القصيدة (التراكيب):-

من المهم الإشارة إلى أهمية الجملة فى القصيدة وفى ذلك الإطار يقول د. منير سلطان:

"الجملة هى الحلقة الثانية من التراكيب، إذا فصلنا عنها الكلمة . لكنها الحلقة الأساسية بلاغياً فالكلمة لا تمارس حياتها منفردة بعيدة عن بيئتها الطبيعية (الجملة) فنحن نفكر فى جمل، ولا يكتمل التعبير عن الفكرة إلا فى جملة، حتى لو نطقها كلمة واحدة . فنحن نقصد نطق جملة، وحذفنا ما فيها وأبقينا على كلمة منها .

والدرس البلاغى للكلمة لا يغفل عن هذه الحقيقة، وإذا فصل الكلمة بحثاً عن دلالتها المختلفة، فلا يقطعها عن بيئتها الطبيعية .[1]

والجملة – نحوياً- تنقسم إلى اسميه وفعلية من حيث التكوين، وتعود وتنقسم إلى مستقلة، وغير مستقلة من حيث الموقع والمستقلة كالجملة المستانفة، والحوارية والمعترضة، والمفسرة، وغير المستقلة، أى المرتبطة بغيرها كالجملة الخبرية والجملة الفاعل ونائب الفاعل والحال، والجمل التوابع(الصفة والتوكيد والبدل)، والجملة الأصلية والإضافة وجواب الشرط وجواب القسم[2].

١ - الجملة الاسمية المستقلة : يقول عمر :

بِاسْمِ الإِلَهِ تَحِيَّةٌ لِمُتَيَّمٍ ... تُهْدَى إِلَى حَسَنِ الْقَوَامِ مُكَرَّمِ

وَصَحِيفَةٌ ضَمَّنْتُهَا بِأَمَانَةٍ ... عِنْدَ الرَّحِيلِ إِلَيْكِ أَمَّ الْهَيْثَمِ

فِيهَا التَّحِيَّةُ وَالسَّلامُ وَرَحْمَةٌ ... حَفَّ الدُّمُوعُ كِتَابَهَا بِالْمُعْجَمِ

٣-١/٩١

---

(١) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام ٤٥٩/١ .
(٢) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام ٤٦٠/١ .

يستهل ابن أبى ربيعة قصيدته بجمل اسمية ثلاثة تبدأ بالبيت الأول ، وتنتهى بالبيت الثالث، ويستفتح عمر رسالته استفتاحاً جيداً فهو يصدر رسالته "باسم الله " ثم يقدم التحية من عاشق شديد العشق إلى محبوبة مكرمة حسنة القوام .

ولو نحينا التقديم والتأخير جانباً – تقديم الخبر شبه الجملة باسم الإله على المبتدأ تحية – لوجدنا أن أصل الجملة تحية "لمتيم باسم الله وهذه جملة اسمية مصدرة بمصدر " تحية " وفى البدء بالمصدر دلالة الاحترام والتقدير والتبجيل ولو بدأ عمر قصيدته بقوله "أحيى المتيم باسم الله" ما كان لهذه البداية دلالات – الجملة الاسمية سالفة الذكر لأن المصدر – كما هو معروف – أقوى فى التعبير من فعله.

أما دلالات التقديم والتأخير "باسم الإله تحية لمتيم" فهى أن البداية باسم الإله فيها الخير والبركة والتفاؤل بأن هذه الرسالة سوف تؤتى ثمارها، وتجد صدى عند المحبوبة. كما أن هذه البداية التى تبدأ باسم الإله والتحية والسلام مقدمة جيدة مشجعة لسماع مضمون الرسالة والاقتناع به. وفى البيت الثانى يعتمد عمر على الجملة الاسمية ليظهر صدق مشاعره، وحرصه على مودة المحبوبة "وصحيفةٌ ضمنتها بأمانة". وتظهر الجملة الاسمية اهتمام عمر بالصحيفة ومضمونها فعمر قد وصف مشاعره نحوها بأمانة شديدة لم يبالغ ولم يغال ولا نستطيع أن نلمس هذه الدلالة إلا إذا عبرنا عن هذا المعنى بالجملة الفعلية فلو قال عمر "وضمنت صحيفةً بأمانة " لكان اهتمام عمر بعملية التضمين نفسها وليس بالرسالة.

كما أن كلمة "صحيفة" فى نطاق الجملة الفعلية نكرةً صرفة أما نفس الكلمة فى الجملة الاسمية التى عبر بها عمر تجنح إلى التعريف أكثر من جنوحها إلى التنكير وكأن هذه الصحيفة التى يتحدث عنها عمر معروفة لدى المحبوبة ومتفق عليها بينهما.

ويواصل عمر حديثه عن الصحيفة ويواصل اعتماده على الجملة الاسمية "فيها التحية والسلام" حيث يقصر عمر مضمون الرسالة على التحية والسلام والاعتزاز وفى هذا دليل على استمالة قلب المحبوبة.

٢- الجملة الفعلية :

أ- الفعل المضارع :

اتكأ عمر على الفعل المضارع للدلالة على استمرار المعاناة والألم والحزن يقول عمر:

يَشْكُو إِلَيْكِ بِعَبْرَةٍ وَيعَوِّلَةٍ وَيَقُولُ أمَّا إذْ مَلَكْتِ فَأَنْعِمِي ٦/٩١

يوضح الفعلان المضارعان "يشكو". و" يقول " استمرار المعاناة والحزن والألم فعمر دائم الشكوى المخضبة بالدموع الغزيرة من هجرها له. وأما الفعل "يقول" فيدل على دوام الشكوى اللسانية من أثر بعدها عنه ولذا يرجوها عمر أنها إذا ما ملكت قلبه وهجرته ألا تهجره ذلك الهجر الذى يحز فى نفسه ويؤلمه.

ويلح عمر على محبوبته طالباً منها العفو فيقول :

وَأَعُودُ مِنْكِ بِكِ الْعَدَاةَ لِتَصْفَحِي عَمَّا جَنَيْتِ مِنَ الذُّنُوبِ فَتَرْحَمِي ٢٦/٩١

يعكس الفعل المضارع "أعوذ" مدى رغبة عمر فى عفو محبوبة عنه؛ لأن الفعل يدل على استمرار طلب العفو منها، والديمومة على ذلك بل الإلحاح الشديد فى هذا الطلب .

ب- الفعل الماضى:

ورد الفعل الماضى فى القصيدة ليدل على الزمن الفائت الذى تمتد آثاره إلى زمن الحاضر يقول عمر:

وَحَرَمْتِنِى رَدَّ السَّلَامِ وَمَا أرَى رَدَّ السَّلَامِ على الكَرِيمِ بِمحْرِمِ ٩١ / ٢١

الفعل "حرمتنى " يدل على أن المحبوبة لا تأبه بسلامه ، ولا ترده عليها.

ولكن يمتد هذا السلوك إلى الزمن الحاضر فهى إلى الآن لا ترد سلامه ولا تأبه به .

ويقول فى بيت آخر:

وَوَجَـدْتُ حَـوْضَ الْحُـبِ حِـينَ وَرَدْتُـهُ مُـرَّ الْمَذَاقَـةِ طَعْمُـهُ كَـالْعَلْقَمِ ١٠/٩١

الشاعر وجد لحوض الحب مرارة ، ولكن هذه المرارة لم تنته من حلقه وهو مازال يشعر بها إلى الآن وطعمها لم يتبدل ، ولم يتغير.

٣- جملة النهى

يظهر ابن أبى ربيعة رغبته الصادقة فى إرجاع علائق الحب بينه وبين المحبوبة فيعتمد على أسلوب النهى فى قوله :-

لاَ تَقْتُلِينِـــى يَـــاغُنَيْمَ فَـــإِنَّنِى أَخْشَى عَلَيْكِ عِقَـابَ رَبِّكِ فِـى دَمِـى

٧/٩١

يشعر عمر بأن بعد المحبوبة عنه قتلاً لقلبه، وتدميراً لمشاعره ولذا فإن عمر يتوجه بأسلوب النهى إلى محبوبته طالباً منها أن تصله ولا تهجره وإن لم تفعل فلتتحمل عقاب الله وغضبه لأنها تسبب فى قتل نفس بشرية بدون ذنب .

٤- جملة الشرط :

يلح ابن أبى ربيعة فى قصيدته هذه على المحبوبة أن ترجع علاقتها به وأن تصله ويبدو ذلك من خلال أسلوب الشرط :

لَـــوْكُفِّى الْيُمْنَـــى سَـــاءَتْكِ قَطَعْتُهَـــا وَلَـذُقْتُ بَعْـدَ رِضَـاكِ عَـيْشَ الأَجْـذَمِ

٢٨/٩١

يعتمد عمر على أسلوب الشرط ليظهر فروض الطاعة والإخلاص للمحبوبة يبدو ذلك فى اختياره لأداة الشرط "لـو" التى تفيد امتناع وقوع الجواب لامتناع وقوع الشرط فعمر يفترض من خلال أداة الشرط "لو" المستحيل وما لا يمكن حدوثه. ويأتى فعل الشرط "ساءتك" ليدل على إساءةٍ متعمدة من كف عمر اليمنى إلى المحبوبة فما يكون رد عمر

تجاه كفه التى يعتمد عليها فى معيشته وفى حياته فيجئ جواب الشرط بإجابة سريعة تدل على استماتة فى حب "عثيمة" لأنه لن يتردد ولو للحظة واحدة فى قطعها. ويعكس أسلوب الشرط مدى حبه لها وتمسكه بها ورغبته فى إرضائها.

٥- جملة النفى :

يعتمد عمر على النفى فى التعبير عن حبه الشديد لمحبوبته يقول :

لم يُخْطِ سَهْمُكِ إِذْ رَمَيْتِ مَقَاتِلِى وَتَطِيشُ عَنْكِ إِذاً رَمَيْتُكِ أَسْهُمِى

٩/٩١

يرتكز عمر على النفى فى قوله: "لم يخط سهمك إذ رميت مقاتلى" فى التعبير عن وقوعه أسيراً فى حب محبوبته وكذلك للتعبير عن قوة تأثير نظرات المحبوبة على قلبه، فهى تجعل النار تشتعل فى قلبه، والحب يتدفق منه وفى ذات الوقت يرى ابن أبى ربيعة أن سهامه تضل الطريق، ولا تصل إلى قلبها مما يسبب له حزناً شديداً.

٦- جملة القسم :

يتكئ عمر على جملة القسم ليثبت لعيثمة أنه متمسك بحبها، وفى لعهودها وأنه لم يخنها أبداً؛ ولذلك يحشد عمر كثيراً من ألفاظ القسم ليدلل للمحبوبة على صدق حبه، ومودته.

يقول عمر:

لاَ وَالَّذِى بَعَثَ النَّبِىَّ مُحَمَّدًا بِالنُّورِ وَالإِسْلاَمِ دِينِ الْقَيِّمِ

وَبِمَا أَهَلَّ بِهِ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا عِنْدَ الْمَقَامِ وَرُكْنِ بَيْتِ الْمَحْرَمِ

وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى الْمُبَارَكِ حَوْلَهُ وَالطُّورِ، حَلْفَةَ صَادِقٍ لَمْ يَأْثَمِ

مـــاَ خُنْـــتُ عَهْـــدَكِ يَاعُثَيْـــمَ ، وَلاَ هَفَـــا قَلْبِـــى إِلَـــى وَصْـــلٍ لِغَيْـــرِكِ فَاعْلَمِـــى

١٤-١٧/١٩١

حشد ابن أبى ربيعة أربع ألفاظ من ألفاظ القسم المتتالية وهى قسم بالله – جل وعلا – الذى بعث النبى محمداً ، وقسم بالله – جل وعلا- الذى نفر له الحجيج وكبروا عند المقام والركن ، وقسم بالمسجد الأقصى المبارك ، وقسم بجبل الطور ؛ لرغبته الشديدة فى وصل ما انقطع من علائق الحب والود بينه وبين محبوبته ، ولإقناعها أن قلبه لم يتسع لامرأة أخرى ولن يدق إلا لها، لأن المحبوبة هجرته وظنت أنه خانها ولذلك أقسم عمر بكل ألفاظ القسم السابقة ولكل قسم منها قيمته وعظم شأنه وتأثيره على المستمع حتى يؤثر فى نفسها وتبعد الوساوس عن قلبها وتصله بحبها.

الصورة الفنية:

أولاً التشبيه :-

يحاول عمر إقناع عثيمة فيعتمد على التشبيه ويقول :

أَنْـــتِ الْأَمِيْـــرَةُ فَاسْـــمَعِى لِمَقَـــالَتِى وَتَفَهَّمِـــى مِـــنْ بَعْـــضِ مَـــا لَـــمْ تَفْهَمِـــى

٢٣/٩١

يحاول ابن أبى ربيعة إثبات حبه المتأجج فى صدره لمحبوبة تصد وتهجر وهذا هو المثير الذى هزه وحرك قلبه لذلك جاءت الاستجابة سريعةً و متناسبةً مع المثير من خلال الجملة الاسمية " أنت الأميرة " فالمحبوبة أميرة على قلب عمر، مالكة لمشاعره وأحاسيسه، مسيطرة على تفكيره إذا أمرته وجبت لها الطاعة، إذا نهت نفذ نهيها.

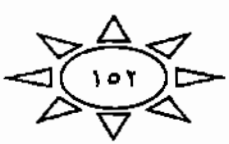

والمثير والاستجابة مقدمة جيدة لما يطلبه عمر فهو يريدها أن تسمع مقالته وتصدقها وتفهم وتقدر حاله لأنها أميرة متحكمة فى أمره .

ثانياً المجاز:

أظهر عمر مدى حبه لعثيم معتمداً على المجازة فى قوله:

لاَ تَقْتُلِيْنِـــــى يَـــــاعُثَيْمُ فَـــــإِنَّنِى أَخْـشَى عَلَيْـكِ عِقَـابَ رِبِّـكِ فِـى دَمِـى

٧/٩١

هَجْرُ عثيمة لعمر يشعره بإحساس لا يستطيع أن يتحمله، وهذا الإحساس القاسى هو المثير الذى حرك مشاعره فجاءت الاستجابة القوية وتقمصت صورة المثيرة فأصبح هذا الهجر قتلاً لعمر، وهلاكاً لصحته ، وسفكاً لدمه بغير إثم أو ذنب ولذلك ينهى عمر المحبوبة عن هجره لأنها بذلك ستحظى بعقاب الله لأنها قتلت إنساناً دون ذنب اقترفه .

ثالثاً الكناية:

يكنى عمر عن حبه الشديد. وترقبه لإشارة من محبوبته فيقول:

لَـــمْ يَـــأْتِنِى لَكُـــمُ بِخَـــطٍّ وَاجِـــدٍ يَشْفِى غَلِيلَ فُؤَادِىَ الْمُتَقَسِّمِ ٢٠/٩١

يظهر عمر مشاعره الملتهبة نحو عثيمة معتمداً على الكناية فى قوله،

" قلبى المتقسم "ذلك لأن شدة حبه لها جعلته يتلهف متشوقاً على كلمة فى رسالة تشفى ذلك القلب الذى قطعه الحب إلى أجزاء وهو يعانى آلام هذا التقسيم الموجع لقلبه.